فتح العلام

بشرح

لامية شيخ الإسلام

تـــأليـــف :

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُرَادٍ الْصَّارِطِيِّ الْبَيْضَانِيِّ

تقديم فضيلة الشيخ المحدث

أَبِي عَبْدِ الْرَّحْمَنِ يَحْيَى بِن عَلِيٍّ الْحَجُوْرِيِّ

حقوق الطبع محفوظة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الكتاب: فتح العلام بشرح لامية شيخ الإسلام

اسم المؤلف: مراد بن أحمد الصارطي البيضاني

الطبعة:الأولى

دار النشر: الشافعي

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدث

يحيى بن علي الحجوري حفظه اللّه تعالى

الحمد لله، هذا شرح مفيد من أحسن الشروح التي رأيت، لهذه المنظومة المختصرة ، المهمة في عقيدة أهل السنة والجماعة المنسوبة إلى شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله ومضمونها عقيدة صحيحة دلت عليها دلائل القرآن والسنة وأجمع عليها سلف الأمة سواء ثبتت نسبتها إليه رحمه الله أو لم تثبت ولهذا اعتنى بها أهل السنة عناية كبيرة فحفظها كثير منهم وحفّظوها أبناءهم لسهولتها وقلة عدد نظمها وعظيم فائدتها في العقيدة وجزى الله أخانا الداعي إلى الله السلفي المفضال مراد بن أحمد البيضاني على إدلاء دلوه في شرحها شرحا مفيداً وبالله التوفيق.

كتبه/

يحيى بن علي الحجوري

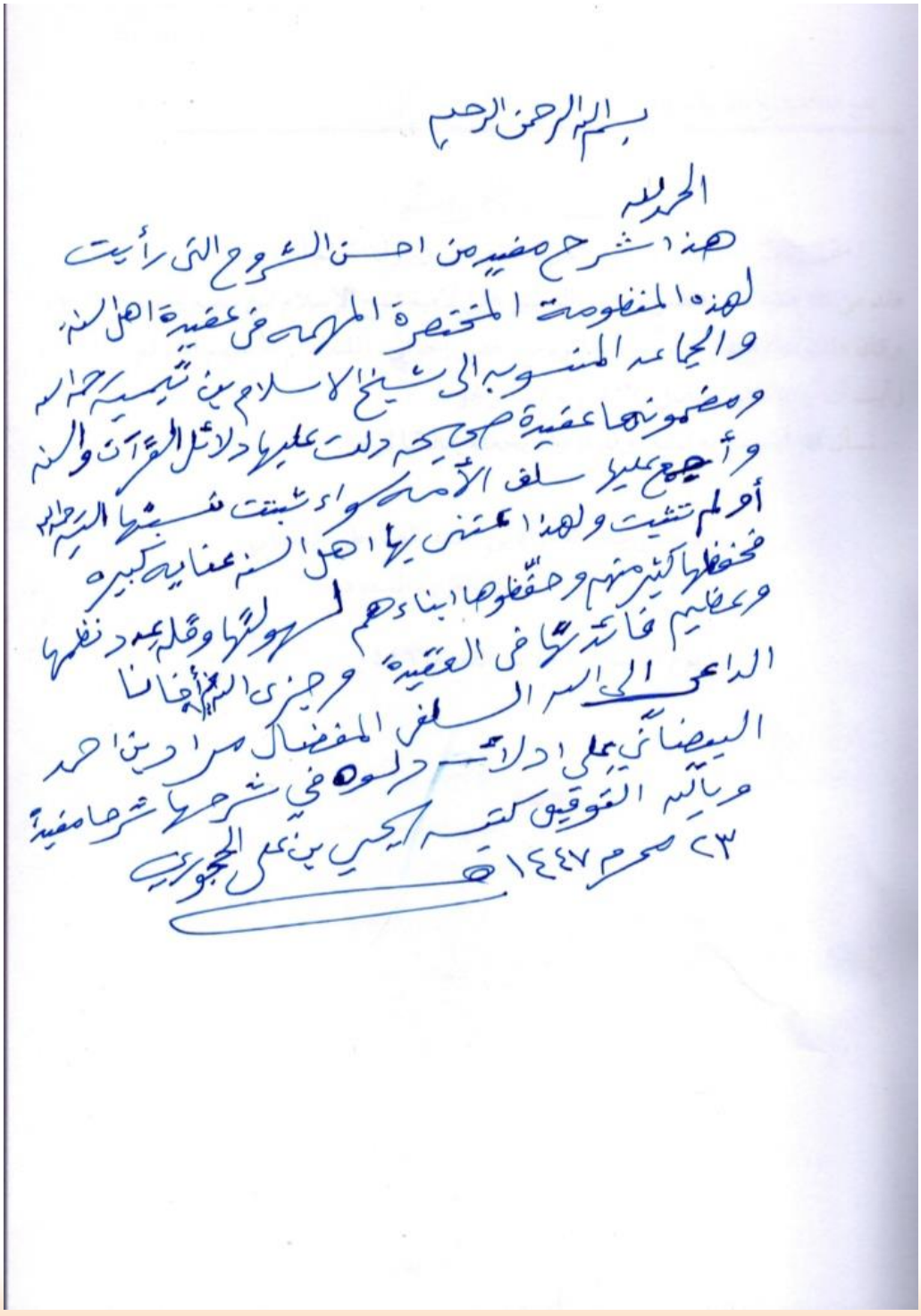

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

هذا شرح مفيد من احسن الشروح التي رأيت
لهذه المنظومة المختصرة المهمة في عقيدة اهل السنة
والجماعة المنسوبة الى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
ومضمونها عقيدة صحيحة دلت عليها دلائل القرآن والسنة
وأجمع عليها سلف الأمة سواء ثبتت نسبتها اليه رحمه الله
أو لم تثبت ولهذا اعتنى بها اهل السنة عناية كبيرة
فحفظها كثير منهم وحققوها لابنائهم
وعظيم فائدتها في العقيدة وجزى الله مؤلفها
الداعي الى السير على السلف الصالح
البيضاني على ادلتها وسلوكه في شرحها شرحا مفيدا
وبالله التوفيق كتبه يحيى بن علي الحجوري
٢٣ محرم ١٤٤٧هـ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فقد من الله علي وله الفضل وحده بالتعليق على لامية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وكان ذلك عبارة عن مدارسة ومذاكرة مع بعض إخواني، طلبة العلم حفظهم الله، ثم رأيت أن أرتبه حتى يحصل الانتفاع به فيما نرجو.

نسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه وأن يجعله خالصاً لوجهه.

كتبه: أبو عبد الله مراد بن أحمد الصارطي البيضاني

منطقة عسير المملكة العربية السعودية

يوم الاثنين/ ٢١/ ذو القعدة/ ١٤٤٦

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام بن تيمية

هو: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨).

مولده:

قال العلامة أبو الفِداء إسماعيل بن كثير الدمشقي:

مولد الشيخ تقي الدين ابن تيميَّة شيخ الإسلام:

قال الشَّيخ شمس الدين الذَّهبي: وفي هذه السنة وُلد شيخنا تقي الدين أبو العبَّاس أحمد ابن الشَّيخ شهاب الدين عبد الحليم بن أبي القاسم ابن تَيْمِيَّة الحَرَّاني، بحران. يوم الاثنين عاشر ربيع الأوَّل من سنة إحدى وستين وست مئة . اهـ[1]

[1] البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٥).

ثناء العلماء عليه:

قَالَ ابن سيد الناس رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَرْجَمته لِابْنِ تَيْمِية بعد أَن ذكر تَرْجَمَة الْحَافِظ الْمزي: وَهُوَ الَّذِي حداني على رُؤْيَة الشَّيْخ الإِمَام شيخ الْإِسْلَام تَقِيّ الدّين أبي الْعَبَّاس أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن تَيْمِية .

فَأَلفَيْته مِمَّن أدْرك من الْعُلُوم حظا وَكَاد أَن يستوعب السّنَن والْأَثَار حفظا إِن تكلم فِي التَّفْسِير فَهُوَ حَامِل رايته أَو أفتى فِي الْفِقْه فَهُوَ مدرك غَايَته أَو ذَاكر فِي الحَدِيث فَهُوَ صَاحب علمه وَذُو رِوَايَته أَو حَاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته فِي ذَلِك وَلَا أرفع من درايته برز فِي كل فن على أَبنَاء جنسه وَلم تَرَ عين من رَآهُ مثله وَلَا رَأَتْ عينه مثل نَفسه. اهـ

وَقَالَ ابْن دَقِيق الْعِيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا: لما اجْتمعت بِابْن تَيْمِية رأيت رجلا الْعُلُوم كلهَا بَين عَيْنَيْهِ يأخذ مِنْهَا مَا يُرِيد ويدع مَا يُرِيد. اهـ

وقال ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَتركت التعصب وَالْحمية وَحَضَرت مجَالِس ابْن تَيْمِية فإذا هُوَ بَيت القصيدة، وأول الخريدة ، عُلَمَاء زَمَانه فلك هُوَ قطبه، وجسم هُوَ قلبه، يزِيد عَلَيْهِم زِيَادَة الشَّمْس على الْبَدْر، وَالْبَحْر على الْقطر، بحثت بَين يَدَيْهِ يَوْمًا فأصبت الْمَعْنى فكناني وَقبل بَين عَيْني الْيُمْنَى فَقلت:

إن ابْن تَيْمِية فِي كل الْعُلُوم وَاحِد أحييت دين أَحْمَد وشرعه يَا أَحْمَد

ورثاه بعد مَوته بقصيدة يَقُول فِيهَا:

قُلُــوب النَّــاس قاســية ســلاط ... وَلَـيْسَ لَهَـا إلـى الْعليـا نشـا ط
أينشــط بعــد وَفَــاة حــبر لنــا ... مــن نثــر جــوهره الْتِقَــاط
تَقِــي الــدين ذُو ورع وَعلــم ... خـروق المعضـلات بِـهِ تخـاط
قضــى نحبــا وَلَـيْسَ لَــه قــرين ... وَلَا لنظيــره لــف القمــاط
فَتــى فِـي علمــه أضــحى فريــدا ... وَحــل المشــكلات بِــهِ ينــاط

وقال أبو حيان أبياتاً جميلة في ابن تيمية :

لمــا أَتَيْنَــا تَقِــيّ الــدّين لَاحَ لنــا ... دَاع إِلَــى الله فَــرد مَــا لَــهُ وزر
علــى محيــاه مــن سِـيمَا الأولــى ... خيــر الْبَرِيَّــة نــور دونــه الْقَمَــر
حــبر تســربل مِنْــهُ دهــره حــبراً ... بَحـر تقـاذف مـن أمواجـه الـدُّرَر
قَـامَ ابْـن تَيْمِيـة فِـي نصـر شـرعتنا ... مقَــام ســيد تــيم إِذْ عَصَــتْ مُضــر
فــأظهر الْحــق إِذْ آثــاره درســت ... وأخمـد الشَّـرّ إِذْ طـارت لَـهُ الشـرر
كُنَّـا نُحـدث عَـن حـبر يَجِـيء فهـا ... أَنْـت الإِمَـام الَّـذِي قـد كَـانَ ينْتَظـر

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِي تَرْجَمته لِابْنِ تَيْمِية شيخ الإسلام وَالْمُسْلِمين الْقَائِم بِبَيَان الْحق ونصرة الدّين الدَّاعِي إلى الله وَرَسُوله الْمُجَاهِد فِي سَبيله الَّذِي أضحك الله بِهِ من الدّين مَا كَانَ عَابِسا وأحيى من السّنة مَا كَانَ دارسا والنور الَّذِي أطلعه الله فِي ليل الشُّبُهَات فكشف بِهِ غياهب الظُّلُمَات وَفتح بِهِ من الْقُلُوب مقفلها وأزاح بِهِ عَن النُّفُوس عللها فقمع بِهِ زيغ الزائغين وَشك الشاكين وانتحال المبطلين وصدقت بِهِ بِشَارَة رَسُول رب الْعَالمين يَقُول: إن الله يبْعَث لهَذِهِ الأمة على رَأس كل مائَة سنة من يجدد لَهَا دينهَا، وَبِقَوْلِهِ: يحمل هَذَا الْعلم من كل خلف عدوله ينفون عَنهُ تَحْرِيف الغالين وانتحال المبطلين، وَهُوَ الشَّيْخ الْعَلامَة الزَّاهِد العابد الخاشع الناسك الحَافِظ المتبع تَقِيّ الدّين أَبُو الْعَبَّاس أَحْمَد بن الشَّيْخ الإمام الْعَلامَة شيخ الإسلام أبي المحاسن عبد الْحَلِيم بن شَيْخ الْإِسْلَام ومفتي الْفرق عَلامَة الدُّنْيَا مجد الدين عبد السَّلَام ابْن الشَّيْخ الإمام الْعَلامَة الْكَبِير شيخ الإسلام فَخر الدّين عبد الله بن أبي الْقَاسِم بن مُحَمَّد بن تَيْمِية الْحَرَّانِي قدس الله روحه وَنور ضريحه. اهـ.

وَقَالَ ابْن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد أعطي ابْن تَيْمِية الْيَد الطُّولى فِي حسن التصنيف وجودة العبارة وَالتَّرْتِيب والتقسيم والتبيين وَقد ألان الله لَهُ الْعُلُوم كَمَا ألان الْحَدِيد لداود كَانَ إِذا سُئِلَ عَن فن من الْعلم ظن الرَّائِي وَالسَّامِع أَنه لَا يعرف غير ذَلِك الْفَنّ وَحكم أَن أحدا لَا يعرف مثله وَكَانَ الْفُقَهَاء من سَائِر الطوائف إِذا

جَلَسُوا مَعَه استفادوا فِي مَذْهَبهم مِنْهُ مَا لم يَكُونُوا عرفوه قبل ذَلِك وَلَا يعرف أَنه نَاظر أحدا فَانْقَطع مَعَه وَلَا تكلم فِي علم من الْعُلُوم سَوَاء كَانَ من عُلُوم الشَّرْع أم من غَيرهَا إِلَّا فاق فِيهِ أهله والمنتسبين إِلَيْه. اهـ

وَكتب ابْن الزملكاني أَيْضا بِخَطِّهِ على كتاب رفع الملام عَن الْأَئِمَّة الْأَعْلَام مَا نَصه: تأليف الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة الأوحد الْحَافِظ الْمُجْتَهد الزَّاهِد العابد الْقدْوَة إِمَام الْأَئِمَّة قدوة الْأمة عَلامَة الْعلمَاء وَارِث الْأَنْبِيَاء آخر الْمُجْتَهدين أوحد عُلَمَاء الدّين بركَة الْإِسْلَام حجَّة الْأَعْلَام برهَان الْمُتَكَلِّمين قامع المبتدعين محيي السّنة وَمن عظمت بنفعه علينا الْمِنَّة وَقَامَت بِهِ على أعدائه الْحجَّة واستبانت ببركته وهديه المحجة تَقِيّ الدين أبي الْعَبَّاس أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام ابْن تَيْمِية أَعلَى الله مناره وشيد من الدّين أَرْكَانه ثم قال: [1]

مَـــاذَا يَقُـــول الواصـــفون لَـــهُ ... وَصِـــفَاته جلـــت عَـــن الْحصْـــر
هُـــــوَ حجَّـــــة الله قـــــاهرة ... هُـــوَ بَيْننَـــا أعجوبـــة الـــدَّهْر
هُـــوَ آيَـــة فِـــي الْخلـــق ظَـــاهِرَة ... أنوارهـــا أربـــت علـــى الْفجْـــر

[1] (منقول من كتاب (الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية صـ٢٦-٣٨) للعلامة مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية :

فَـاقْرأْ تَصَـانِيفَ الإِمَـامِ حَقِيقَـة ... شـيخ الوُجُـودِ العَـالِمِ الرَّبَّـانِي

أعْنِـي أبَـا العَبَّـاسِ أحْمَـدَ ذَلِـكَ ... الْبَحْـرَ المحِيطَ بِسَـائِرِ الخُلْجَـانِ

وَاقرأْ كِتَابَ العَقْلِ والنَّقْلِ الَّذِي ... مَـا فِـي الوُجُـودِ لَـه نَظِيـر ثَـانِ

وَكَـذَاكَ مِنْهَـا ج لَـه فِـي رَدِّهِ ... قَـوْلَ الـرَّوَافِضِ شِـيعَة الشَّـيْطَانِ

وَكَـذَاكَ أهْـلُ الاعْتِـزَالِ فإنَّـه ... أرْدَاهُـمُ فِـي حُفْـرَة الجَبَّـانِ

***

نسبة اللامية لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اختلف أهل العلم قديمًا وحديثًا في نسبة المنظومة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: صحة نسبة نظم اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقال بذلك:

١- الشيخ أحمد بن عبد الله المرداوي (ت ١٢٣٦هـ) في شرحه على اللامية ، المسمى: «اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية »، فقد نسب القصيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية كما في اسم شرحه على اللامية .

٢-الشيخ محمد بن عبد الله الجبَرتِي (ت ١٢٨٦ هـ) في شرحه على اللامية ، حيث يقول في مقدمة كتابه: «أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى مولاه العلي الكبير، محمد بن عبد الله الجبَرتِي: هذا شرح لطيف على منظومة الشيخ العالم العلامة ، والبحر الفهَّامة ، تقي الدين، أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، الحراني يُبَين حقائقها، ويكشف دقائقها، وسميته:(زاد المعاد في اعتقاد خيار العباد)».

٣-الشيخ خير الدين، الآلوسي (ت: ١٣١٧هـ) حيث قال في كتابه "جلاء العينين" اعلم أولاً أن عقيدة الشيخ ابن تيمية الموافقة للكتاب.

٣- أثبتها كذلك وأحال إليها الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٤٠٨هـ) فقد قال في شرحه على العقيدة الواسطية[1] : «قال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لاميته المشهورة :

قُبْحـًا لِمَـنْ نَبَـذَ القُـرَانَ وراءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ

الرأي الثاني: عدم صحة نسبتها وهم كثير ومنهم:

١-الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت:١٤٢١هـ) فقد قال في «شرح السَّفارِينية »: «الظاهر أنها لا تصح أصلا عن الشيخ».

٢-الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩هـ) حيث ذكر هذه المنظومة في كتابه «المدخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية »، تحت باب «الكتب المنحولة على شيخ الإسلام».

الرأي الثالث الشك:

---

[1] (التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (صـ ١٢٧).

وهم كثير تراهم إذا ذكروها يقولون المنظومة المنسوبة لشيخ الإسلام فتعبيرهم بهذا يوحي بأنهم يشكون في نسبتها فلا يجزمون بثبوتها ولا بعدم ثبوتها.

وعلى كل حال: فهذا الخلاف في نسبتها لا ينقص من قيمتها العلمية شيئاً، ولا يوجب ردها، فهي منظومة مباركة ، تضمنت مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة ، وما عليه أئمة الإسلام من سلف الأمة وأئمتها، مع سهولة عبارتها وقلة أبياتها. [1]

[1] (بدر التمام شرح لامية شيخ الإسلام ٩ — عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(القَصِيدَة اللامِية)

يـــا سَـائِلِي عَـن مَـذْهَبي وعَقِيـدتِي ... رُزِقَ الهُـــدَى مَـن لِلْهِدَايـة يَسْـأَلُ

اسْمَـــعْ كَـــلامَ مُحَقِـقٍ في قَولِـهِ ... لـــا يَنْثَنِـــي عَنْـــهُ ولا يَتَبَّـــدلُ

حُـبُّ الصَّحَـابة كُلِّهـم لِـي مَـذْهَبٌ ... وَمَـــوَدَّة القُـــرْبى بِهَـــا أَتَوَسّـــلُ

ولِكُلِّهـــم قـــدر عـــلا وفضـــائلٌ[1] ... لَكِنَّمَـا الصِـدِّيقُ مِنْهُـمْ أفْضَلُ

وَأَقُـــولُ في القُرآنِ مَا جَـاءَتْ بِهِ ... آياتُـــه فَهْـــوَ الكريم[2] المُنْـــزَلُ

وَأَقُـــولُ: قَـالَ اللهُ جَـل جَلالُـهُ ... والمُصطَفَـى الهَـادِي وَلا أَتأول

وجميـعُ آيـاتِ الصّفاتِ أُمِرُّهَا ... حَقًا كَمَـا نَقَـلَ الطِّـرَازُ الأَوَّلُ

وأَرُدُّ عُهْـــدَتَهَـا إلى نُقَّـــالِهَـا ... وأصُـونُهَـا عَـن كُـلِّ مَا يُتَخَيَّـلُ

قُبْحَـــًا لِمَـــنْ نَبَذَ القُـرانَ ورَاءَهُ ... وإذَا اسْتَـدَلَّ يَقُولُ قَـالَ الأَخْطَلُ

والمؤمنـــونَ يَرونَ حَقًا رَبَّهُمْ ... وإلـى السمـاءِ بِغَيـرِ كَيـفٍ يَنْـزِلُ

وأُقِـرُّ بِالميزانِ والحـوضِ الذِي ... أَرْجُـــو بـــأنِي مِنْـــهُ رِيًا أَنْهَـلُ

وكـذا الصـراطَ يُمَدُّ فوقَ جَهنَّـمٍ ... فَمُـــوحِّـــدٌ نَـــاجٍ وآخـــرُ مُهْمَـــلُ

---

[1] وفي بعض النسخ (ولكلهم قَـدْرٌ وفَضْـلٌ سَاطِـعٌ).

[2] وفي بعض النسخ (القديم).

والنَّـارُ يَصْلاَهـا الشقيُّ بحكمة ... وكـذا التقيُّ إلـى الجِنان سَيَدْخُلُ

ولِكُـلِّ حَيٍّ عَاقِـلٍ في قَبْـرِهِ ... عَمَـلٌ يقـارنُه هُنَـاكَ ويُسْـأَلُ

هَـذا اعتقَـادُ الشافعيِّ ومالِـكٍ ... وأَبـي حَنيفـة ثُـم أحمدَ يُنْقَـلُ

فـإنِ اتَّبَعْـتَ سَبيلَهـم فَمُوفَّـقٌ ... وإنِ ابْتَـدَعْتَ فمَـا عَليكَ مُعَوَّلُ

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يـــا سَـائِلِي عَـن مَـذْهَبي وعَقِيـدتِي رُزِقَ الهُـــدَى مَــن لِلْهِدَايــة يَسْــأَلُ

الشَّرْحُ:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يا سَائِلِي عَن مَذْهَبي وعَقِيدتِي).

فيه الإشارة إلى أهمية السؤال عن أمور الدين وقد أمر الله عز وجل به فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء: ٧]

معنىٰ المذهب لغة واصطلاحًا:

لغة: جاء في «معجم مقاييس اللغة » ذهاب الشيء مضيه. يقال ذَهَب يَذْهَب ذَهابًا وذُهوبًا. وقد ذهب مذهبًا حسنًا.

اصطلاحًا: هو: ما قاله بدليل ومات قائلاً به، ومذهب كل واحد عرفًا، وعادة ، ما اعتقده جزمًا أو ظنًا بدليل، ويُعْلَم ذلك من قوله، وخطه، وتأليفه، وينقل إلينا جزمًا أو ظنًا. اهـ[1]

[1] (المسودة في اصول الفقه ص ٥٣٣) للمجد ابن تيمية.

معنىٰ العقيدة لغة واصطلاحًا:

لغة : مشتقة من مادة (عقد) قال ابن فارس: العين والقاف والدال: أصل واحد يدل على شدَّ، وشِدَّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها[1]

اصطلاحًا: تطلق العقيدة على ما يدين به الإنسان ربه، ويعتقده من أمور الدين، إن كان ما يعتقده الإنسان مطابقا للواقع فهي عقيدة صحيحة ، وإن كان مخالفا للواقع فهي عقيدة فاسدة[2].

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ [3]:

والاعتقاد هو: الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

أهمية العقيدة الصحيحة :

قال الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَوْجَبَ مَا عَلَى الْمَرْءِ مَعْرِفَة اعْتِقَادِ الدِّينِ، وَمَا كَلَّفَ اللهُّ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ فَهْمِ تَوْحِيدِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ بِالدَّلَائِلِ وَالْيَقِينِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى طُرُقِهَا وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ.

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَقُولٍ، وَأَوْضَحِ حُجَّة وَمَعْقُولٍ:

---

[1] (معجم مقاييس اللغة مادة(عقد)).

[2] (شرح العقيدة الطحاوية صـ٥) للعلامة عبد العزيز الراجحي حفظه الله.

[3] (شرح لمعة الاعتقاد صـ٢٩).

- كِتَابُ اللهِ الْحَقُّ الْمُبِينُ.
- ثُمَّ قَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ الْمُتَّقِينَ.
- ثُمَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ.
- ثُمَّ التَّمَسُّكُ بِمَجْمُوعِهَا وَالْمُقَامُ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
- ثُمَّ الِاجْتِنَابُ عَنِ الْبِدَعِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا مِمَّا أَحْدَثَهَا الْمُضِلُّونَ. [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعة. وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. [2]

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (مَن لِلْهِدَايَة يَسْأَلُ):

الهداية في اللغة : الرشاد والدلالة ، وهَديتُه الطريق والبيتَ هداية عرَّفته[3]

---

[1] (اصول اعتقاد اهل السنة ١/ ٧)

[2] (مقدمة العقيدة الواسطية)

[3] (مختار الصحاح)

الهداية في الاصطلاح: هي سلوك الطريق الذي يوصل الإنسان إلى غايته، وهي اتباع شرع الله.

وقيل هي: بمعنى الدوام على الإيمان والثبات عليه، ومنه قول الموحد ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة : ٦] أي أرزقنا الدوام عليه، وكان النبي ﷺ يكثر من قول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ». وكان من دعائه: «يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك»[1]

فائدة :

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الْمَوْضِعُ السَّادِسُ: مِنْ قَوْلِهِ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة : ٦] فَالْهِدَايَة: هِيَ الْبَيَانُ وَالدَّلَالَة ، ثُمَّ التَّوْفِيقُ وَالْإِلْهَامُ، وَهُوَ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالدَّلَالَة ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْبَيَانِ وَالدَّلَالَة إِلّا مِنْ جِهَة الرُّسُلِ، فَإِذَا حَصَلَ الْبَيَانُ وَالدَّلَالَة وَالتَّعْرِيفُ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ هِدَايَة التَّوْفِيقِ، وَجَعْلُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، وَتَحْبِيبُهُ إِلَيْهِ، وَتَزْيِينُهُ فِي الْقَلْبِ، وَجَعْلُهُ مُؤْثِرا لَهُ، رَاضِيا بِهِ، رَاغِبا فِيهِ.

---

[1] سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان المنسوب لأبي بكر الخفاف (ت ٥٤٣هـ) صـ١٦

وَهُمَا هِدَايَتَانِ مُسْتَقِلَّتَانِ، لَا يَحْصُلُ الْفَلَاحُ إلّا بِهِمَا، وَهُمَا مُتَضَمنَتَانِ تَعْرِيفَ مَا لَمْ نَعْلَمْهُ مِنَ الْحَقِ تَفْصِيلاً وَإِجْمَالاً، وَإِلْهَامَنَا لَهُ، وَجَعْلَنَا مُرِيدِينَ لِاتبَاعِهِ ظَاهِراً وَبَاطِنـًا، ثُمَّ خَلْقُ الْقُدْرَة لَنَا عَلَى الْقِيَامِ بِمُوجَبِ الْهُدَى بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْعَزْمِ، ثُمَّ إِدَامَة ذَلِكَ لَنَا وَتَثْبِيتُنَا عَلَيْهِ إِلَى الْوَفَاة .

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ اضْطِرَارُ الْعَبْدِ إِلَى سُؤَالِ هَذِهِ الدَّعْوَة فَوْقَ كُل ضَرُورَة ، وَبُطْلَانُ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِذَا كُنَّا مُهْتَدِينَ، فَكَيْفَ نَسْأَلُ الْهِدَايَة ؟ فَإِنَّ الْمَجْهُولَ لَنَا مِنَ الْحَقِ أَضْعَافُ الْمَعْلُومِ، وَمَا لَا نُرِيدُ فِعْلَهُ تَهَاوُنـًا وَكَسَلاً مِثْلُ مَا نُرِيدُهُ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَوْ دُونَهُ، وَمَا لَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ مِمَّا نُرِيدُهُ كَذَلِكَ، وَمَا نَعْرِفُ جُمْلَتَهُ وَلَا نَهْتَدِي لِتَفَاصِيلِهِ فَأَمْرٌ يَفُوتُ الْحَصْرَ، وَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْهِدَايَة التَّامَّة ، فَمَنْ كَمُلَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ كَانَ سُؤَالُ الْهِدَايَة لَهُ سُؤَالَ التَّثْبِيتِ وَالْوِئَامِ.

وَلِلْهِدَايَة مَرْتَبَة أُخْرَى وَهِيَ آخِرُ مَرَاتِبِهَا وَهِيَ الْهِدَايَة يَوْمَ الْقِيَامَة إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّة ، وَهُوَ الصِرَاطُ الْمُوَصلُ إِلَيْهَا، فَمَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى صِرَاطِ الله الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، هُدِيَ هُنَاكَ إِلَى الصرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوَصِلِ إِلَى جَنَّتِهِ وَدَارِ ثَوَابِهِ، وَعَلَى قَدْرِ ثُبُوتِ قَدَمِ الْعَبْدِ عَلَى هَذا الصرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَكُونُ ثُبُوتُ قَدَمِهِ عَلَى الصرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَعَلَى قَدْرِ سَيْرِهِ عَلَى هَذِهِ الصرَاطِ يَكُونُ سَيْرُهُ عَلَى ذَاكَ الصرَاطِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ

كَالريحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِ الرِكَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْواً، وَمِنْهُمُ الْمَخْدُوشُ الْمُسَلَّمُ، وَمِنْهُمُ الْمُكَرْدَسُ فِي النَّارِ، فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ سَيْرَهُ عَلَى ذَلِكَ الصرَاطِ مِنْ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا، حَذْوَ الْقُذَّة بِالْقُذَّة ، جَزَا ء وِفَاقا ﴿ تُجْزَوْنَ إِلّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النَّمل : ٩٠] [١]

بعض أسباب الهداية :

أولاً: الدعاء: لقوله ﷺ (اللهم اهدني وسددني)[٢]

وقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفَاتِحَة : ٦]

وفي الحديث: ربي أعني، ولا تُعن علي[٣]

قال: واهدني، ويسر الهدى لي[٤]

والاستعاذة من الضد: اللهم أني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضلني[١]

---

[١] (مدارج السالكين ١/ ٢٣-٣٣)

[٢] (رواه مسلم ٢٧٢٥)، عن علي رضي الله عنه

[٣] (رواه أبو داود: ١٥١٢، والترمذي: ٣٥٥١، وابن ماجة: ٣٨٣٠، وأحمد: ١٩٩٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ١٣٥)

[٤] (رواه الترمذي، وهو حديث صحيح: ٣٥٥١، وابن ماجه: ٣٨٣٠، والنسائي: ١٠٣٦٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ٣٨٢٠)

أعوذ بعزتك أن تُضلني، وتوسل بالألوهية : "لا إله إلا أنت".

كذلك الحديث: اغفر لي وارحمني، واهدني وارزقني[٢]

وكذلك: فاستهدوني أهدكم[٣] . استهدوني اطلبوا مني الهداية .

ثانيًا: الإيمان: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التَّغَابُن : ١١]

ثالثًا: من أسباب الهداية : القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإِسْرَاء: ٩] ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المَائِدَة : ١٥ - ١٦]

رابعًا: المجاهدة : قال تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العَنكَبُوت: ٦٩]

خامسًا: الصحبة الطيبة : قال تعالىٰ ﴿حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأَنْعَام : ٧١]

---

[١] (رواه مسلم٧٠٧٤)

[٢] (رواه مسلم٧٠٢٣)

[٣] (رواه مسلم ٦٧٣٧)

وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف : ١٣] فاجتماع هؤلاء الصالحين على الإيمان، كان سببا لزيادة الهدى.

سادسًا: من أسباب الهداية : الاعتصام بالله: يقول تعالىٰ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٠١] وقال تعالىٰ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النِّسَاء : ١٧٥]

سابعًا: من أسباب الهداية: طاعة الرسول ﷺ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النُّور : ٥٤] وقال تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النِّسَاء : ٦٦ - ٦٨]

❊❊❊

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اسْمَـــعْ كَـــــلامَ مُحَقِـقٍ فِي قَولِـهِ لـــــا يَنْثَنِـــي عَنْـــهُ ولا يَتَبَّـــدلُ

الشَّرْحُ:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسْمَـــعْ كَـــــلامَ مُحَقِقٍ):

(المحقق) قال في اللسان: أحققت الشيء أي: أوجبته، وتحقق عنده الخبر أي: صح، وحقق قوله وظنه تحقيقاً أي: صدق، وكلام محقق أي: رصين.[1]

ويصل الإنسان إلى مرتبة التحقيق بحيث لا يعتريه شك ولا تردد ولا رجوع عما اعتقده، وهذا يؤخذ من معنى: محقق، أي أن هذا كلام موثق ويقين وجزم لا تردد فيه أبداً، وشيخ الإسلام إذ يعرض عقيدته ليس عنده تردد في مسألة الاعتقاد، بل هو جازم حق الجزم.

وفي هذا جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك قال شيخنا يحيى حفظه الله عند قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمع كلام محقق في قوله): فيه الثناء على نفسه بما هو حاصل؛ لقصد إرشاد السامع أن يستفيد من هذا الكلام المحقق، من باب قول يوسف عليه السلام ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ

---

[1] (لسان العرب مادة(حقق))

خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ [يُوسُف : ٥٥] وهذا جائز أخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٧٨) عن أبي عبد الرحمن : أن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين حوصر أشرف عليهم وقال : أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر رومة ؛ فله الجنة فحفرتها ألستم تعلمون أنه قال : من جهز جيش العسرة ؛ فله الجنة فجهزته قال : فصدقوه بما قال.

قال الحافظ في الفتح: وفيها جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك؛ لدفع مضرة ، أو تحصيل منفعة وإنما يكره ذلك عند المفاخرة والمكاثرة والعجب. اهـ[1]

***

[1] (شرح لامية شيخ الإسلام صـ ٢٠-٢١)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حُـبُّ الصَّحَـابة كُلِّهم لِي مَـذْهَبٌ وَمَـوَدَّة القُـرْبى بِهَـا أَتَوَسّـلُ

الشَّرْحُ:

مسألة: من هو الصحابي؟

ذكر الحافظ ابن حجر أن التعريف المبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما هو أن الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام وإن تخللته ردة على الصحيح[1].

الصحابة ثلاثة أصناف:

ذكر الإمام القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصحابة ثلاثة أصناف: الأول: المهاجرون. الثاني: الأنصار. الثالث: من أسلم يوم الفتح.

---

[1] لإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧)

قال ابن الأثير في جامع الأصول: والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهذا على سبيل الإجمال. وأما على سبيل التفصيل فإن جماعة من سباق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين، وإنما سباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار. ثم هم بعد ذلك متفاوتون، فرب متأخر في الإسلام أفضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن أبي رباح.

قال القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات:

الطبقة الأولى: قوم أسلموا بمكة أول المبعث، وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وأبي بكر وزيد بن حارثة وبقية العشرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة ، بعد إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حمل النبي ﷺ ومن معه من المسلمين على الذهاب إلى دار الندوة فأسلم لذلك جماعة من أهل مكة .

الطبقة الثالثة : الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا بدينهم من أذى المشركين، منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن عبد الأسد.

الطبقة الرابعة : أصحاب العقبة الأولى، وهم سباق الأنصار إلى الإسلام، وكانوا ستة ، وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلا.

الطبقة الخامسة : أصحاب العقبة الثالثة ، وكانوا سبعين من الأنصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الطبقة السادسة : المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبني المسجد وينتقل إلى المدينة .

الطبقة السابعة : أهل بدر الكبرى، قال ﷺ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة حاطب بن أبي بلتعة : «وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1]

الطبقة الثامنة : الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

الطبقة التاسعة : أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة . قال ﷺ «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد»[2]

---

[1] (رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه.)

[2] أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وأحمد (١٤٧٧٨) وصححه العلامة الألباني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

الطبقة العاشرة : الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل فتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الطبقة الحادية عشر: الذين أسلموا يوم الفتح، وهم خلق كثير.

الطبقة الثانية عشر: صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرها، كالسائب بن يزيد. انتهى كلام المواهب.

ونسب هذا التقسيم إلى الحافظ أبي عبد الله الحاكم في كتاب علوم الحديث.

قال الإمام الزرقاني في شرحه عليها: وقال ابن سعد إنهم خمس طبقات:

الأولى: البدريون.

الثانية : من أسلم قديما ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أحدا فما بعدها.

الثالثة : من شهد الخندق فما بعدها.

الرابعة : مسلمة الفتح فما بعدها.

الخامسة : الصبيان والأطفال ممن لم يغز. اهـ.

مسألة : كم عدد الصحابة ؟

قال: في المواهب: وأما عدة أصحابهﷺ فمن رام حصر ذلك رام أمرا بعيدا، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله تعالى، لكثرة من أسلم من أول البعثة إلى أن مات النبي ﷺ وتفرقهم في البلدان والبوادي.

وقد روى البخاري أن كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «وأصحاب رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ» يعني الديوان. لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك. وقد روي أنه سار عام الفتح لمكة في عشرة آلاف من المقاتلة ، وإلى حنين في اثني عشر ألفا، وإلى حجة الوداع في تسعين ألفا وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفا ويقال أكثر من ذلك حكاه البيهقي، وإلى تبوك في سبعين ألفا، وقد روي أنه ﷺ قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا، والله أعلم بحقيقة ذلك، انتهى كلام المواهب.

وقال شارحها المذكور: وجاء عن أبي زرعة الرازي أنه قيل له: أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث؟ فقال: ومن قال ذا؟ فلق الله أنيابه، هذا قول الزنادقة ، قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه، وفي رواية ممن رآه وسمع منه، فقيل له: هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا منه؟ قال: أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما والأعراب ومن

شهد معه حجة الوداع، كل رآه وسمع منه بعرفة . قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب: وأجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة ، فكيف بغيرهم؟ قال الحافظ، يعني ابن حجر: ولم يحصل لجميع من جمع أسماء الصحابة العشر من أساميهم بالنسبة إلى قول أي زرعة هذا، فإن جميع ما في الاستيعاب ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وزاد عليه ابن فتحون قريبا من ذلك. وبخط الحافظ الذهبي على التجريد: لعل الجميع ثمانية آلاف إن لم يزيدوا لم ينقصوا، قال، يعني الحافظ ابن حجر: ورأيت بخطه أيضا أن جميع من في أسد الغابة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفسا. وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب وأكثرهم حضروا حجة الوداع اهـ.

وعن الشافعي: قبض ﷺ عن ستين ألفا، ثلاثون بالمدينة ، وثلاثون في قبائل العرب وغيرها.

وعن أحمد: قبض ﷺ وقد صلى خلفه ثلاثون ألف رجل. كأنه عنى بالمدينة ، فلا يخالف ما فوقه. والله أعلم بحقيقة ذلك، فإن كل من قال شيئا إنما حكاه على قدر تتبعه ومبلغ علمه أو أشار بذلك إلى وقت خاص وحال، فإذن لا تضارب بين كلامهم اهـ.

وعن مالك: مات بالمدينة نحو عشرة آلاف نفس من الصحابة . ا.هـ[1]

حب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من صميم معتقد أهل السنة الجماعة:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، والأخذ بآثارهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله، وقد دلت النصوص الكثيرة على وجوب حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن تلك النصوص:

١-قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]

وقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]

---

[1] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢/ ٦٦٨ وما بعدها)

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية :

«فمعنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا عدولاً شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها، ويكون رسولي محمد ﷺ شهيدا عليكم بإيمانكم به، وبما جاءكم به من عندي» انتهى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته:

ومن أصول أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر : ١٠] وطاعة النبي ﷺ «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهب ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[1]

روى الإمام مسلم في صحيحه[2] من حديث أبي بردة عن أبيهم قال: صلينا مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا

---

[1] (العقيدة الواسطية صـ٢٣٦-٢٣٧ بشرح الهراس)

[2] (٢٠٣١)

فقال ما زلتم هاهنا؟ قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: أحسنتم أو اصبتم قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون.

قال النووي: ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله ﷺ وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ.

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة ، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم من السماء.

٢- روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم: فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم»[١]

فضل الصحابة والتابعين وتابعيهم:

٣- وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سأل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته.[٢]

مسألة : من هم آل البيت؟

قال شيخنا العلامة عبد المحسن العباد: القولُ الصحيحُ في المرادِ بآل بيت النَّبِيِّ ﷺ مَن تَحرُم عليهم الصَّدقة ، وهم أزواجُه وذريَّتُه، وكلُّ مسلمٍ ومسلمة

---

[١] (رواه البخاري ٢٨٩٧) ومسلم (٢٠٣٢)

[٢] رواه البخاري (٦٦٥٨) ومسلم (٢٥٣٣)

من نَسْل عبد المطلب، وهم بنُو هاشِم بن عبد مَناف؛ قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (صـ١٤) «وُلِد لهاشم بن عبد مناف: شيبة ، وهو عبد المطلب، وفيه العمود والشَّرف، ولَم يبْقَ لهاشم عَقِبٌ إلاَّ مِن عبد المطلب فقط»[١]

من هم آل محمد:

وقد تنازع الناس في آل محمد ﷺ من هم فقيل: أمته وهذا قول طائفة من أصحاب النبي ﷺومالك وغيرهم، وقيل: المتقون من أمته، وإليه ذهب طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ الْمُخْتَارَ فِي الْآلِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْأَتْبَاعِ. اهـ[٢]

قال الإمام يحيى بن أبي بكر العامري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وآله) هم جميع الامة . [٣]

وأهل البيت لهم مكانتهم:

جاء من حديث زيد بن أرقم قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْما فِينَا خَطِيبا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًا بَيْنَ مَكَّة وَالْمَدِينَة فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا

---

[١] (أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة صـ٩)

[٢] (شرح مسلم ٤/ ١٢٦)

[٣] بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل. ١/ ٤

بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَر يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبي فَأجُيبَ، وَأَنَا تَارِك فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَاِ كرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَاِ كرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي.[1]

ورواية البخاري من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ أني تارِك فيكُم ما إن تمسَّكتُمْ بِهِ لن تضلُّوا بَعدي أحدُهُما أعظَمُ منَ الآخرِ: كتابُ الله حَبل ممدود منَ السَّماءِ إلى الأرضِ. وعِترتي أَهْلُ بيتي، ولَن يتفرَّقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوضَ فانظُروا كيفَ تخلُفوني فيهِما.[2]

ونقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحَى : ٥] قال: رضا محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ارْقُبُوا مُحَمَّدا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ».[3]

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاة وَعَلَيْهِ مِرْط مُرَحَّل، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الحَسَنُ بْنُ عَلِي فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ

---

[1] رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٤٠٨)

[2] صححه ا لألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٧٨٨)

[3] رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٧١٣٩)

جَاءَتْ فَاطِمَة فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِي فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهرَكُمْ تَطْهِيرا. رواه مسلم (٢٠٨١)

وَعَنْ كَعْب بْن عُجْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قال: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَل عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيد مَجِيد. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيد مَجِيد». [1]

وَعَنْ أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَل عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيد مَجِيد» [2]

هل يدخل أزواجه في آله؟

وأما زوجاته فللآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]

---

[1] أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦)

[2] أخرجه البخاري (٦٣٦٠) ومسلم (٤٠٧)

قال ابن كثير عند تفسيرها: وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا.

فضل فاطمة بنت رسول الله ﷺ :

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِي ﷺ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَة ، فَجَاءَتْ فَاطِمَة تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَة رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَرْحَبا بِابْنَتِي» فَأَجلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّه أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثا فَبَكَتْ فَاطِمَة ، ثُمَّ إِنَّه سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيْضا، فَقُلْتُ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا ثُمَّ تَبْكِينَ؟ وَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : إِنَّه كَانَ حَدَّثَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُه بِالقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّة ، وَإِنَّه عَارَضَه بِهِ فِي العَامِ مَرَّتَيْنِ،وَلا أُرَانِي إِلا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّه سَارَّنِي فَقَالَ: «أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِدَة نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِدَة نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّة ». فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ. [1]

[1] اخرجه البخاري (٤٤٣٤) ومسلم (١٩٠٣)

وَعَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «فَاطِمَة بَضْعَة مِني، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي». [1]

فضل علي بن أبي طالب:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِي اخَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِي: يَا رَسُولَ اللهِ! خَلَّفْتَنِي مَعَ النسَاءِ وَالصبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِي بِمَنْزِلَة هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّة بَعْدِي». وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَة رَجُلا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُو لُهُ قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ ادْعُوا لِي عَلِيـًا فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَة إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيـًا وَفَاطِمَة وَحَسَنا وَحُسَيْنا فَقَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي» متفق عليه [2]

---

[1] اخرجه البخاري (٣٧١٤) ومسلم (١٩٠٣)

[2] اخرجه البخاري (٣٧٠٦) ومسلم (٢٤٠٤)

فضل الحسن والحسين:

عَنِ البَرَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِي عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِي أُحِبُّه فَأَحِبَّهُ». [1]

وَعَنْ أبي بَكْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، وَالحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّة وَإِلَيْهِ مَرَّة ، وَيَقُولُ: «ابْنِي هَذَا سَيد، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ». [2]

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ؛ الحسن والحُسَينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة ؛ إلا ابنَي الخالة عيسى ابنَ مريمَ ويحيي بنَ زكريا، وفاطمة سيدة نساءِ أهلِ الجنَّة ؛ إلا ما كان من مريمَ بنتِ عِمران. [3]

---

[1] رواه البخاري (٣٧٤٩) ومسلم (٢٤٢٢)

[2] رواه البخاري (٢٧٠٤)

[3] رواه احمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٨)

قوله: (بِهَا أَتَوَسّـلُ):

التوسل في اللغة والاصطلاح:

قال الجوهري في الصحاح: مادة وسل: الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل أو الوسائل ويقال توسل فلان إلى ربه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل.

قال شيخ الإسلام بن تيمية : والوسيلة هي الأعمال الصالحة . [1]

وقال القرطبي في تفسيره: الوسيلة هي القربة -نقلا عن أبي وائل والحسن ومجاهد وقتادة وعطاء والسدي وابن زيد وعبدا لله بن كثير- وهي فعيلة من توسلت إليه أي تقربت.

وقال ابن الأثير في النهاية : الوَسِيلَة هِيَ فِي الأَصْل: مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْء ويُتَقَرَّبُ بِهِ، وجَمْعُها وَسَائِل. يُقال: وَسَلَ إِلَيْهِ وَسِيلَة ، وتَوَسَّلَ. والمُراد بِهِ فِي الْحَدِيثِ القُرْبُ مِنَ الله تَعَالَى. [2]

وقال ابن فارس في "معجم المقايس": "الوسيلة هي الرغبة والطلب ويقال وسل إذا رغب والواسل الراغب.

---

[1] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١ / ٢٩٩

[2] (النهاية ٥ / ١٨٥)

أولاً: معنىٰ التوسُّل:

قال الشيخ الفوزان حفظه الله في "عقيدة التوحيد": التوسُّل هو التقرُّب إلى الشيء والتوصُّل إليه، والوسيلة : القربة ؛ قال تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المَائِدَة : ٣٥] [1]

التوسل ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: التوسل المشروع.

الثاني: التوسل الممنوع.

أنواع التو سل المشروع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا:

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني. أو يقول أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي. ومثله قول القائل اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ فإن الحب من صفاته تعالى.

---

[1] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك صـ١٤١

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى. ولا شك أن صفاته العليا داخلة في هذا الطلب، لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له، خصت به.

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان حيث قال: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ﴾ [النَّمل : ١٩]

ومن الأدلة أيضا قول النبي ﷺ في أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من صلاته ﷺ «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خير لي»[١]

ومنها ما جاء عن محجن بن الأدرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ دخلَ المسجدَ، إذا رجل قد قَضى صلاتَهُ وَهوَ يتشَهَّدُ، فقالَ: اللَّهمَّ إني أسألُكَ يا اللهُ بأنَّكَ الواحدُ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوً أَحَد، أن تغفِرَ لي ذُنوبي، إنَّكَ أنتَ الغَفورُ الرَّحيمُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ قَد غَفرَ الله لَهُ.[٢]

---

[١] رواه أحمد (٣٧١٢) واللفظ له والحاكم (١/ ٥ ٩٠) وهو في السلسة الصحيحة للألباني (١١٩)

[٢] رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٣٠٠)

وجاء من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبيُّ ﷺ سمع رجلا يدعو وَهوَ يقولُ: اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأني أشهدُ أنَّكَ أنتَ اللّه لا إلَهَ إلّا أنتَ الأحدُ الصَّمدُ، الَّذي لم يلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُن لَهُ كفواً أحد، قالَ: فقالَ: والَّذي نَفسي بيدِهِ لقد سألَ الله باسمِهِ الأعظمِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعطى. [1]

وجاء من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ ما أصاب أحدا قط همٌ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عد لٌ فيَّ قضاؤُك، أسألُك بكل اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أو علَّمتَه أحدا من خلقِك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ همي، إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ وحزنَه، وأبدلَه مكانَه فرجا قال: فقيل: يا رسولَ اللهِ ألا نتعلَّمُها؟ فقال بلى، ينبغي لمن سمعَها أن يتعلَّمَها. [2]

وجاء من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يقولُ: اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ،

---

[1] رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٤٧٥) وأخرجه أبو داود (١٤٩٣) والنسائي في السنن الكبرى (٧٦٦٦) وابن ماجه (٣٨٥٧)، وأحمد (٢٢٩٦٥)

[2] اخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان (٩٧٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٩)

اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بعِزَّتِكَ -لا إلَهَ إلّا أَنْتَ - أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ. [1]

وجاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا كربَهُ أمر قالَ: يا حيُّ يا قيُّومُ برَحمتِكَ أستغيثُ. [2]

فهذه الأحاديث وما شابهها تبين مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفه من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله سبحانه ويرضاه، ولذلك استعمله رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فكان من المشروع لنا أن ندعوه سبحانه بما دعاه به رسوله، فذلك خير ألف مرة من الدعاء بأدعية ننشئها، وصيغ نخترعها.

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي:

كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني.

---

[1] رواه البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧)

[2] رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٣٧) والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٢٤)

ومنه أن يذكر الداعي عملاً صالحًا ذا بالٍ، فيه خوفه من الله سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه، ليكون أرجى لقبوله وإجابته.

وهذا توسل جيد وجميل قد شرعه الله تعالى وارتضاه، ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عِمۡرَان : ١٦]

وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عِمۡرَان : ٥٣]

وقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عِمۡرَان : ١٩٣]

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾ [المُؤۡمِنُون: ١٠٩]

وأمثال هذه الآيات الكريمات المباركات وكذلك يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل ما رواه بريدة بن الحصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قال: سمع النبي ﷺ رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت،

الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحدا فقال: قد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.[1]

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار، كما يرويها عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم» وفي رواية لمسلم: «فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها، لعل الله يفرجها عنكم -. فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبُقُ[2] قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي طلب شيء» وفي رواية لمسلم: «الشجر» «يوما، فلم أرِحْ[3] عليهما، حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه

---

[1] أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى (٧٦٦٦) وابن ماجه (٣٨٥٧) وأحمد (٢٢٩٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

[2] الغبوق: هو الذي يشرب العشي، ومعناه: كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلا ولا غيرهم.

[3] المراح: موضع مبيت الماشية، والمعني: لم أرد الماشية من المرعى إلى حظائرها.

من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. » قال النبي ﷺ «قال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمت بها سَنَة [1] من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض - وفي رواية لمسلم «يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. » قال النبي ﷺ «وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد لي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» [2]

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح.

---

[1] السنة: العام القحط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئا، سواء نزل غيث أم لم ينزل

[2] رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)

كأن يكون المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة ، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله عز وجل فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة ، فيطلب منه أن يدعوا له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه. فهذا نوع آخر من التوسل المشروع، دلت عليه الشريعة المطهرة ، وأرشدت إليه، وقد وردت أمثلة منه في السنة الشريفة ، كما وقعت نماذج منه من فعل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، فمن ذلك ما رواه أنس ابن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيث قال: أصاب الناس سنَة على عهد النبي ﷺ فبينما النبي ﷺ يخطب على المنبر قائما في يوم الجمعة قام.

وفي راوية : دخل أعرابي من أهل البدو من باب كان وجَاه المنبر نحو دار القضاء ورسول اللهﷺ قائم، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال.

وفي رواية : هلك العيال.

ومن طريق أخرى: هلك الكُراع، وهلك الشاء.

وفي أخرى هلكت المواشي، وانقطعت السبل فادعُ الله لنا أن يَسْقِيَنا.

وفي أخرى: يُغيثنا فرفع يديه يدعو حتى رأيت بياض إبطه اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ورفع الناس أيديهم معه يدعون ولم يذكر أنه حوَّل رداءه، ولا استقبل القبلة ولا والله ما نرى في السماء من سحا ب ولا قزعة [١] ولا شيئا، وما بيننا وبين سَلْع[٢] من بيت ولا دار.

وفي رواية : قال أنس: وإن السماء لمثل الزجاجة قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالذي نفسه بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطرَ يتحادر على لحيته ﷺ.

وفي رواية : فهاجت ريح أنشأت سحابا، ثم اجتمع، ثم أرسلت السماءُ عزاليها[٣] ونزل عن المنبر فصلى فخرجنا نخوض الماس حتى أتينا منازلنا

وفي رواية : حتى ما كاد الرجل يصل إلى منزله فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ما تقع[١] حتى سالت مثاعب المدينة[٢]

---

[١] قطعة من السحاب الصغار المتفرق.

[٢] جبل في المدينة.

[٣] عزاليها: جمع عزلاء وهو فم المزادة الأسفل، وفيه تشبيه غزارة المطر وشدته بالماء الخارج من أفواه القرب المصبوبة.

وفي رواية : فلا والله ما رأينا الشمس ستاً، وقام ذلك الأعرابي أو غيره

وفي رواية : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله تهدم البناء.

وفي رواية : تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي وفي طريق: بشَق المسافر[٣] ومُنع الطريق وغرق المال، فادع الله يحبُسه لنا فتبسم النبي ﷺ فرفع يده، فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على رؤوس الجبال والإكام والظراب[٤] وبطون الأودية ومنابت الشجر فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت مثل الجوْبَة[٥]

وفي رواية : فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة يميناً وشمالاً كأنه إكليل.

---

[١] ماتقع: أي ماتنقطع.

[٢] أي مجاري المياه.

[٣] أي قطع به السير

[٤] الاكام: جمع أكمة وهو التراب المتجمع، والظراب جمع ظرب وهو الجبل المنبسط ليس بالعالي.

[٥] هي الحفرة المستديرة الواسعة

وفي أخرى: فانْجابَتْ[1] عن المدينة انجياب الثوب يمطر ما حولينا ولا يمطر فيها شيء وفي طريق: قطرة وخرجنا نمشي في الشمس يريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته وسال الوادي قناة شهرا، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود.[2]

ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسقَون.[3]

ومعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس، ونطلب منه أن يدعوَ لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ اللهم بجاه العباس اسقنا، لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا

---

[1] أي انكشفت.

[2] رواه البخاري (١٠١٣) ومسلم (٨٩٧)

[3] رواه البخاري (١٠١٠)

في السنة ، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، كما سيأتي الكلام على ذلك بشيء من البسط قريباً إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى بسند صحيح عن التابعي الجليل سليم ابن عامر الخبَائري: أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجُرَشي فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية فصعد على المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.[1]

وعزاه الحافظ العسقلاني لأبي زراعة الدمشقي ويعقوب ابن سفيان في «تاريخهما». بسند صحيح عن سليم بن عامر أيضا.[2]

---

[1] «تاريخ ابن عساكر ٦٥/ ١١٢»

[2] «الإصابة- ٣/ ٦٣٤»

وروى ابن عساكر أيضـًا بسند صحيح أن الضحاك بن قيس خرج يستسقي بالناس فقال ليزيد بن الأسود أيضـًا قم يا بكاء زاد في رواية : فما دعا إلا ثلاثا حتى أمطروا مطراً كادوا يغرقون منه. [1]

فهذا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا لا يتوسل بالنبي ﷺ لما سبق بيانه، وإنما يتوسل بهذا الرجل الصالح: يزيد ين الأسود رحمه الله تعالى فيطلب منه أن يدعو الله تعالى، ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله طلبه. وحدث مثل هذا في ولاية الضحاك بن قيس أيضا.

القسم الثاني التوسل الممنوع:

ومن أمثلته ما يلي:

أولاً: التوسل إلى الله بسؤال ودعاء الميت وطلبه الشفاعة ، وهذا كفر وشرك أكبر مخرج من الملة .

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فَاطِر: ١٣]

ثانيـًا: التوسل بذات أو جاه أحد الأنبياء أو الصالحين فض لا عن غيرهم ممن هو دونهم، فهذا العمل بدعة منكرة ، لم يدل عليها

---

[1] (تاريخ بن عساكر ٦٥/ ١١٣)

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] :«من تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين، فإن الله لا يُعبد إلا بما هو واجب أو مستحب. » اهـ

ثالثًا: التوسل بحق المخلوق كما في قول بعض الناس: «اللهم إني أتوسل إليك بحق فلان عليك، اللهم إني أتوسل بحق الجيلاني عليك أو بحق البدوي أو بحق العالم الفلاني أن تعطيني كذا وكذا». هذا غير مشروع أو أن يقول اللهم إني أتوسل اليك بجاه فلان أو علان.

❊❊❊

[1] (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة٢/ ٢٥)

قال الناظم: رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولِكُلِّهِـم قَـدْرٌ وفَضْـلٌ سَاطِـعٌ[1] لَكِنَّمَـا الصِـدِّيقُ مِنْهُـمْ أفْضَـلُ

الشَّرْحُ:

أي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لهم فصائل كثيرة ولهم قدر عظيم ومكانة رفيعة والصديق الذي هو أبوبكر خليفة رسول الله ﷺ هو أفضلهم وسنذكر شيئا من فضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فضيلة أبي بكر في القرآن:

مِنَ ذلك:

١-قَولُ اللهِ تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠]

قال الإمام أبو أحمد القصاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شهد الله جل وتعالى له بالصحبة والكينونة معه في الغار من دون الناس، ولخروجه من توبيخ الخطاب وترك النصرة بالمسابقة إلى ما قعد عنه غيره، والمشاركة له فيما يحذر المطلوب، إذ

---

[1] وفي بعض النسخ ولكلهم قدر علا وفضائلٌ

لا نصرة أنصر ممن بذل نفسه للمكروه، وخرج مع المطلوب يؤنسه في وحدته، ويشاركه فيما يتقيه من محذور عدوه. [1]

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مناقب أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كثيرة جدا، وقد أفرده جماعة بالتصنيف، وترجمته في تاريخ ابن عساكر قدر مجلدة ، ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَة : ٤٠]

فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع. [2]

٢- قال الله سُبحانَه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [اللَّيْل: ١٧ - ٢١]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك.

---

[1] نكت القرآن للقصاب (١/ ٥٣٥).

[2] الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤٨)

ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [اللَّيل: ١٧ - ٢١] وهذا لكونه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ؛ فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذَّالا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده مِنَّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفق أهل التأويل على أن أول مقصود بهذه الصلة أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٣- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النُّور : ٢٢].

قال الرَّازي: أجمَعَ المُفَسرونَ عَلى أنَّ المُرادَ مِن قَولِه: أُولُو الفَضْلِ أبو بَكْرٍ، وهَذِه الآية تَدُلُّ عَلى أنَّه رَضِيَ الله عنه كانَ أفضَلَ النَّاسِ بَعدَ الرَّسولِ ﷺ قال لِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المَائِدَة : ١٣].

وقال في حَقِ أبي بَكْرٍ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النُّور : ٢٢] فمِن هَذا الوَجهِ يَدُلُّ عَلى أنَّ أبا بَكْرٍ كانَ ثانيَ اثنينِ لِرَسولِ اللهِ ﷺ في جَميع الأخلاقِ حَتَّى في العَفوِ والصَّفح.

قَولُه: أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ فإنَّه سُبحانَه ذَكرَه بكِناية الجَمع عَلى سَبيلِ التَّعظيمِ، وأيضًا فإنَّه سُبحانَه عَلَّقَ غُفرانَه له عَلى إقدامِه عَلى العَفْوِ والصَّفحِ، فلَمَّا حَصَلَ الشَّرط مِنه وجَبَ تَرتيبُ الجُزاءِ عليه، ثُمَّ قَولُه: يَغْفِرَ الله لَكُمْ بصيغة المُستَقبَلِ وأنَّه غَيرُ مُقَيَّدٍ بشَيءٍ دونَ شَيءٍ؛ فدَلَّتِ الآية عَلى أنَّه سُبحانَه قَد غَفَرَ له في مُستَقبَلِ عُمرِه عَلى الإطلاقِ، فكانَ من هَذا الوَجهِ ثانيَ اثنينِ لِلرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم في قَولِه: لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. [1].

ومن السنة ما جاء عن عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَة فَقُلْتُ: مِنَ الرجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالاً[2].

قال النَّوَويُّ: هَذا تَصريح بعَظيمِ فضائِلِ أبي بَكْرٍ وعُمرَ وعائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفيه دَلالة بَيانة لِأهلِ السُّنَّة في تَفضيلِ أبي بَكْرٍ ثُمَّ عُمرَ عَلى جَميع الصَّحابة [1].

---

[1] (تفسير الرازي ٢٣/ ٣٤٩)

[2] رواه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤)

وعن مُحَمَّدِ بنِ الحَنفيَّة قال: قُلتُ لِأبي عَلِي بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيُّ النَّاسِ خَيرٌ بَعدَ رَسولِ اللهِ ﷺ قال: أبو بَكْرٍ، قُلتُ: ثُمَّ مَن؟ قال: ثُمَّ عُمَرُ، وخَشيتُ أن يَقولَ: عُثمانُ، قُلتُ: ثُمَّ أنتَ؟ قال: ما أنا إلّا رَجُل مِنَ المُسْلِمينَ. [٢].

قال ابنُ حَجَرٍ في فتح الباري عند شرح الحديث: أمَّا خَشية مُحَمَّدِ بنِ الحَنفيَّة أن يَقولَ: عُثمانِ؛ فلِأنَّ مُحَمَّدا كانَ يَعتَقِدُ أنَّ أباه أفضَلُ، فخَشِيَ أنَّ عَليًا يَقولُ: عُثمان، عَلى سَبيلِ التَّواضُع مِنه والهَضمِ لِنَفسِه. [٣].

وعن عُروة بنِ الزُّبَيْرِ قال: قُلتُ لِعَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ: أخبِرْني بأشَد ما صَنَعَ المُشركونَ برَسولِ الله ﷺ قال: بَينا رَسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِي بفِناءِ الكَعبة إذ أقبَلَ عُقْبة بنُ أبي مُعَيْطٍ، فأخذ بمَنكِبِ رَسولِ اللهِ ﷺ ولَوى ثَوبَه في عُنُقِه فخَنقَه خَنقا شَديدا، فأقبَلَ أبو بَكرٍ، فأخذ بمَنكِبِه ودَفَعَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ وقال: أتَقتُلونَ رَجُلا أن يَقولَ: رَبيَ الله وقَد جاءَكم بالبَيِانات مِن رَبِاكم. [٤].

---

[١] (شرح صحيح مسلم)

[٢] رواه البخاري (٣٦٧١)

[٣] (فتح الباري ٧/ ٣٣)

[٤] رواه البخاري (٤٨١٥)

عن عُمرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمَرَنا رَسولُ اللهِ ﷺ أن نَتَصَدَّقَ، ووافَقَ ذلك عِندي ما لا، فقُلتُ: اليَومَ أسبِقُ أبا بَكْرٍ إنْ سَبَقْتُه يَوما. قال: فجِئْتُ بنِصفِ مالي، فقال رَسولُ الله ﷺ ما أبقَيتَ لِأهلِكَ؟ قُلتُ: مِثلَه. وأتى أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكُل ما عِندَهُ، فقال: يا أبا بَكرٍ ما أبقَيتَ لِأهلِكَ؟ قال: أبقَيتُ لهمُ الله ورَسولَه قُلتُ: لا أسبِقُه إلى شَيءٍ أبَدا. [1].

قال ابنُ رسلانَ: قال له رَسولُ اللهِ ﷺ (ما أبقَيتَ لِأهلِكَ) هَذا السُّؤالُ ليُظهِرَ فضيلة أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلحاضِرينَ ولِغَيرِهِم. [2].

عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ الله ﷺ (مَن أصبَحَ مِنكمُ اليَومَ صائِما؟ قال أبو بَكْرٍ: أنا، قال: من تَبِعَ مِنكم اليَومَ جِنازة ؟ قال أبو بَكرٍ: أنا. قال: فمَن أطعَمَ مِنكمُ اليَومَ مِسكينا؟ قال أبو بَكرٍ: أنا. قال: فمَن عادَ مِنكمُ اليَومَ مَريضا؟ قال أبو بَكْرٍ: أنا، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ ما اجتَمَعْنَ في امرِئٍ إلّا دَخلَ الجَنَّة .)[3].

---

[1] (رواه أبوداود وحسنه الألباني في صحيح ابي داود (١٦٧٨))

[2] (شرح سنن ابي داود ٨/ ٨٠)

[3] رواه مسلم (١٠٢٨)

قال النووي في شرح مسلم عند هذا الحديث :(مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا) قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا إِلَى قَوْلِهِ ﷺ مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلّا دَخَلَ الْجَنَّة قَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ دَخَلَ الْجَنَّة بِلَا مُحَاسَبَة وَلَا مُجَازَاة عَلَى قَبِيحِ الْأَعْمَالِ. اهـ.

ومِن مَواقِفِ أبي بَكرٍ العَظيمة قِتالُه لِلمُرتَدين بَعدَ وفاة النَّبي ﷺ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّة عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّة عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَة لَآئِمٍ﴾ [المَائِدَة : ٥٤].

قال ابن الجوزي في تفسيره: وفي المُرادِ بِهَؤُلاءِ القَوْمِ سِتَّة أقْوالٍ. أحَدُها: أبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ وأصْحابُهُ الَّذِينَ قاتَلُوا أهْلَ الرِّدَّة ، قالَهُ عَلِيُّ بْنُ أبِي طالِبٍ، والحَسَنُ عَلَيْهِما السَّلامُ، وقَتادَة ، والضَّحّاكُ، وابْنُ جُرَيْجٍ. قالَ أنَسُ بْنُ ما لكٍ: كَرِهَتِ الصَّحابَة قِتالَ مانِعِي الزَّكاة ، وقالُوا: أهْلُ القِبْلَة ، فَتَقَلَّدَ أبُو بَكْرٍ سَيْفَهُ، وخَرَجَ وحْدَهُ، فَلَمْ يَجِدُوا بُدّاً مِنَ الخُرُوج عَلى أثَرِهِ. .

عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا تُوُفي رَسولُ اللهِ ﷺ وكانَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكَفرَ من كفرَ مِنَ العَرَبِ، فقال عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيفَ تُقاتِلُ النَّاسَ، وقَد قال رَسولُ اللهِ ﷺ أُمِرْتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقولوا: لا إلَه إلّا اللهُ، فمَن قالها فقدَ عَصمَ مِني مالَه ونَفْسَه إلّا بحَقِه وحِسابُه عَلى اللهِ؟ فقال: واللهِ لأقاتِلَنَّ

من فَرَّقَ بَينَ الصَّلاة والزَّكاة ؛ فإنَّ الزَّكاة حَقُّ المالِ، واللهِ لو مَنَعوني عَناقا كانوا يُؤَدُّونَها إلى رَسولِ اللهِ ﷺ لَقاتَلْتُهم عَلى مَنعِها، قال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فواللهِ ما هو إلّا أن قَد شَرح الله صَدْرَ أبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعَرَفتُ أنَّه الحَقُّ. [1].

❊❊❊

[1] رواه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَقُــولُ فِي القُرآنِ مَا جَـاءَتْ بِهِ آياتُــه فَهْــوَ القَدِيــمُ[1] المُنْــزَلُ

الشَّرْحُ:

أي هذه عقيدتي في القرآن وهي عقيدة أهل السنة والجماعة السلف الصالح أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه منزل من عند الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجْر: ٩].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسْرَاء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القَدْر: ١]

---

[1] وفي بعض النسخ (الكريم)

واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ومعنى قولهم: منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فإن الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟ ولهذا قال الإمام أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه، ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله بائن منه خلقه في بعض الأجسام.

ومعنىٰ قول السلف: إليه يعود:

يبين ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «إن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية »[1].

[1] رواه بن ماجة في سننه (٤١٤٩) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٣ و٥٤٥) ونعيم بن حماد في الفتن (١/١٧٣) من حديث حذيفة بن اليمان والحديث صححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٨).

كلام العلماء في أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال الإمام الصابوني في كتابه النفيس "عقيدة السلف وأصحاب الحديث": ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وخطابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنا عربيًا لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٢ - ١٩٥].

وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته كما أمر به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائِدَة: ٦٧].

فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه وفيه قال ﷺ: أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة ، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ أو كتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله عز وجل غير مخلوق؛ فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فمن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ولا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. [1].

قال: شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه العقيدة الواسطية :

«فَصْل: وَمِنَ الإيمانِ بِاللهِ وَكتُبِهِ: الإيمانُ بِأنَّ القُرْآنَ كلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلوقٍ؛ مِنْهُ بَدَأ، وإلَيْهِ يَعودُ».

قوله: «الإيمان بأن القرآن كلام الله» وجه كون الإيمان بالقرآن على هذا الوجه من الإيمان بالله: أن القرآن من كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته، وأيضًا؛ فإن الله وصف القرآن بأنه كلامه، وأنه منزل؛ فتصديق ذلك من الإيمان بالله.

قوله: «كلام الله» والدليل على ذلك قوله ﴿إِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ٦].

---

[1] (عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـ ٦٤-٦٥)

قول المؤلف: «منزل» أي: من عند الله تعالى. [1]

قال الإمام أَبُو جَعْفَر أحْمَد بن مُحَمَّد سَلامَة الازدي الطَّحَاوِي رحمه الله في عقيدته: وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّة قَوْلا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الله تَعَالَى بِالْحَقِيقَة ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّة . فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ الله وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المُدَّثِّر : ٢٦] فَلَمَّا أَوْعَدَ الله بِسَقَرَ لِمَنْ قالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المُدَّثِّر : ٢٥] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ.

قال ابن أبي العز في شرحه: هَذِهِ قَاعِدَة شَرِيفَة ، وَأَصْل كَبِير مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، ضَلَّ فِيهِ طَوَائِفُ كَثِيرَة مِنَ النَّاسِ. وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ الطَّحَاوِيُّ رحمه الله هُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدِلَّة مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّة لِمَنْ تَدَبَّرَهُمَا، وَشَهِدَتْ بِهِ الْفِطْرَة السَّلِيمَة الَّتِي لَمْ تُغَيَّرْ بِالشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ وَالْآرَاءِ الْبَاطِلَة . [2].

❋❋❋

[1] (شرح الواسطية للعثيمين ١/ ٩٣)

[2] (شرح الطحاوية ١ / ١٧)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَقُــولُ: قَـالَ اللهُ جَـل جَلالُـهُ والمُصطَفَـى الهَـادِي وَلا أَتأول

الشَّرْحُ:

أي أن دليلي وحجتي في عقيدتي هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقال الله عز وجل مبينا أن الهداية كل الهداية هي في كتاب الله فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسْرَاء: ٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره "يَمْدَحُ تَعَالَى كِتَابَهُ الْعَزِيزَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ، بِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَقْوَمِ الطُّرُقِ، وَأَوْضَحِ السُّبُلِ ﴿وَيُبَشرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِهِ ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّا لحَاتِ﴾ عَلَى مُقْتَضَاهُ ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرا كَبِيرا﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَة .

والقرآن روح ونور وهداية كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشُّورَى: ٥٢].

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ

بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

قال ابن كثير في تفسيره وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ أَيْ: مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يَنْهَى عَنْ شَرٍّ.

ولذا كان السلف الصالح يدعون إلى التمسك بالوحيين كليهما ويضللون من يتمسك بالكتاب فقط، قال أبو قلابة : إذا رأيت رجلا يقول هات الكتاب ودعنا من السنة فاعلم أنه ضال.

وخطب ﷺ في مرجعه من حجة الوداع فقال: «إنما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجُيبه، وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدين ومن أخطأه ضل»[1].

فالسنة تشرح القرآن وتبين ما أُجمل فيه ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحل: ٤٤].

[1] رواه مسلم (٦١٧٧) عن جابر رضي الله عنه.

وليس أدل على أهمية التمسك بالسنة مع القرآن من قوله ﷺ: «تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكل من القلب والبدن محتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، وكما أن البدن محتاج أن يرقى بالأغذية المصلحة له، والحمية عما يضره، فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه ومنعه مما يضره، فكذلك القلب: لا يزكو، ولا ينمو، ولا يتم صلاحه إلا بذلك، ولا سبيل له إلى الوصول لذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره، فهو شيء يسير لا يحصل له به تمام المقصود.[2]

وقد أنزل الله عز وجل القرآن ليكون وسيلة يهتدي الناس من خلالها إلى طريقه، وإلى جنته ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٧٤ - ١٧٥]

---

[1] صحيح، رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

[2] (إغاثة اللهفان ١ / ٧٦.)

وجاء من حديث أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ «أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً»[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يُونُس: ٥٧]

من أهم الأوصاف التي وصف بها القرآن أنه: «روح» ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشُورَى: ٥٢].

لقد بلغ من شأن القرآن وعظمته وشدة تأثيره أنه لو أُنزل على جبل من الجبال، وجُعل له عقل كما جُعل للبشر، لرأيت الجبل - مع كونه في غاية القسوة والصلابة - خاشعا متصدعا من خشية الله كما قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحَشْر: ٢١] أي: لاتَّعظ الجبل وتصدَّع.

فإن كان الجبل سيندك إذا ما استقبل القرآن، كذلك فإن القلوب المؤمنة تخشع وتهتز هزاً عنيفًا عند استقباله، ولقد وصف لنا القرآن بعضًا من مظاهر

[1] صحيح، رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيح الجامع، ح (٣٤) وفي السلسة الصحيحة (٧٣١)

هذا التأثير: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]

ومن حق النبي ﷺ على هذه الأمة:

اتباع النبي ﷺ وتعظيم السنة والتمسك بها، والعمل بها، والتحاكم إلى رسول الله ﷺ واعلم أنك كلما تنازعت في شيء فلا يحل لك هذا الشيء إلا رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] ولم يجعل طاعة أولي الأمر مستقلة بل تابعة لطاعة رسول الله وطاعة رب رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عِمۡرَان: ١٣٢] وانظر ودقق النظر وتدبر في كتاب الله جل في علاه، قال: لعلكم ترحمون قال ابن عباس: لعل في القرآن قاطعة ، يعني: لا بد أن تتحقق، فهي ليست للرجاء، بل هي متحققة ، والله جل وعلا يبين لكم أن تحقق الرحمات يكون باتباع رسول الله، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ فإذا قيل لك: قال رسول الله في المسألة فاضرب قول أي أحد عرض الحائط، وخذ بقول النبي ﷺ ﴿مَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأَحۡزَاب: ٣٦]

قال تعالى: «فَلا وَربكَ» وهذه الآية من أقوى ما يكون، وهي زاجر ورادع شديد لكل من لا يتحاكم إلى رسول الله ﷺ أو يتحاكم إلى كتاب الله جل في علاه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء : ٦٥]

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء : ٥٩]

وجاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى. [1]

قال رسول الله ﷺ: لا ألفين أحدكم على أريكته شبعان، يأتيه الأمر من أمري فيقول: ننظر في كتاب الله، وفي رواية الحاكم قال: لا ألفين أحدكم شبعان على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول: ننظر في كتاب الله، فما وجدناه حلا لا أحللناه، فقال النبي ﷺ: ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله، وما أحل رسول الله كما أحل الله. [2]

---

[1] رواه البخاري (٧٢٨٠) وأيضا صح عنهن في مسند أحمد برقم (٢٣٨٧٥) وسنن أبي داود برقم (٤٤٤١) عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه

[2] وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٢٨٧٠)

وجاء من حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال النبي ﷺ إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وفي رواية للنسائي قال وكل بدعة في النار. [1]

قوله: (والمُصطَفَىٰ):

اي: الْمُخْتَار بَين أَبنَاء جنسه، وَالْمرَاد بِهِ صَاحب الشَّرْع أَبُو الْقَاسِم مُحَمَّد ﷺ إِذْ هُوَ خُلَاصَة خلق الله طرا، وأرفعهم في الْعَالمين ذكرا وَقدرا.

ذكر أَبُو الْحُسَيْن بن فَارس اللغَوِي أَن للنَّبِي ﷺ ثَلَاثَة وَعشْرين اسْما مُحَمَّدا وَأحمد والماحي والحاشر وَالْعَاقِب والمقفى وَنَبِي الرَّحْمَة وَنَبِي التَّوْبَة وَنَبِي الْمَلَاحِم وَالشَّاهِد والمبشر والنذير والضحوك والقتال والمتوكل والفاتح والأمين والخاتم والمصطفى وَالرَّسُول وَالنَّبِي والأمي والقثم.

فالماحي الَّذِي يمحى بِهِ الْكفْر والحاشر الَّذِي يحْشر النَّاس على قَدَمَيْهِ أَي يقدمهم وهم خَلفه.

---

[1] اخرجه أحمد (١٧١٤٥) وأبو داود (٤٦٠٧) وغيرهما وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ـ ٢٧٣٥) وهو في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١/ ١٧٧) للشيخ رحمه الله

وَالْعَاقِب آخر الْأَنْبِيَاء والمقفى بِمَعْنى العاقب لِأَنَّه تبع الْأَنْبِيَاء وكل شَيْء تبع شَيْئا فقد قَفاه والملاحم الحروب والضحوك صفته فِي التَّوْرَاة .

قَالَ ابْن فَارس وَإِنَّمَا قيل لَه الضحوك لِأَنَّه كَانَ طيب النَّفس فكها وَقَالَ إِني لأمزح.

والقثم من مَعْنيين أَحدهمَا من القثم وَهُوَ الْإِعْطَاء يُقَال قثم لَه من الْعَطاء يقثم إِذا أعطَاه وَكَانَ أَجود بِالْخَيرِ من الرِّيح الهابة وَالثَّانِي من القثم وَهُوَ الْجمع يُقَال للرجل الجموع للخير قثوم وَقثم[1].

قال الإمام بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد:

فَصْلٌ: فِي أَسْمَائِهِ ﷺ وَكُلُّهَا نُعُوتٌ لَيْسَتْ أَعْلَامًا مَحْضَة لِمُجَرَّدِ التَّعْرِيفِ، بَلْ أَسْمَاءٌ مُشْتَقَّة مِنْ صِفَاتٍ قَائِمَة بِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَدْحَ وَالْكَمَالَ فَمِنْهَا مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَشْهَرُهَا، وَبِهِ سُمِّيَ فِي التَّوْرَاة صَرِيحًا كَمَا بَيَّنَّاهُ بِالْبُرْهَانِ الْوَاضِحِ فِي كِتَابِ «جَلَاءِ الْأَفْهَامِ فِي فَضْلِ الصَّلَاة وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ» وَهُوَ كِتَابٌ فَرْدٌ فِي مَعْنَاهُ لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ فِي كَثْرَة فَوَائِدِهِ وَغَزَارَتِهَا، بَيَّنَّا فِيهِ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَة فِي الصَّلَاة وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَصَحِيحَهَا مِنْ حَسَنِهَا وَمَعْلُولِهَا، وَبَيَّنَّا مَا فِي مَعْلُولِهَا مِنَ

[1] (تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي صـ ١٥).

الْعِلَلِ بَيَانًا شَافِيًا، ثُمَّ أَسْرَارَ هَذَا الدُّعَاءِ وَشَرَفِهِ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ، ثُمَّ مُوَاطِنَ الصَّلَاة عَلَيْهَا وَمُحَالَّهَا، ثُمَّ الْكَلَامَ فِي مِقْدَارِ الْوَاجِبِ مِنْهَا، وَاخْتِلَافَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِ وَتَرْجِيحَ الرَّاجِحِ وَتَزْيِيفَ الْمُزَيَّفِ، وَمَخْبَرُ الْكِتَابِ فَوْقَ وَصْفِهِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ فِي التَّوْرَاة صَرِيحًا بِمَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ كُلُّ عَالِمٍ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَمِنْهَا أَحْمَدُ، وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ الْمَسِيحُ لِسِرٍّ ذَكَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ وَمِنْهَا: الْمُتَوَكِّلُ، وَمِنْهَا الْمَاحِي، وَالْحَاشِرُ، وَالْعَاقِبُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ التَّوْبَة ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَة ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَة ، وَالْفَاتِحُ، وَالْأَمِينُ.

وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ: الشَّاهِدُ، وَالْمُبَشِّرُ، وَالْبَشِيرُ، وَالنَّذِيرُ، وَالْقَاسِمُ، وَالضَّحُوكُ، وَالْقَتَّالُ، وَعَبْدُ اللهِ، وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَصَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ، وَصَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ أَسْمَاءَهُ إِذَا كَانَتْ أَوْصَافَ مَدْحٍ فَلَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ اسْمٌ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ الْوَصْفِ الْمُخْتَصِّ بِهِ أَوِ الْغَالِبِ عَلَيْهِ وَيُشْتَقُّ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ، وَبَيْنَ الْوَصْفِ الْمُشْتَرَكِ فَلَا يَكُونُ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ يَخُصُّهُ وَقَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: سَمَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ن نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو هُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»

وَأَسْمَاؤُهُ ﷺ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: خَاصٌّ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ، كَمُحَمَّدٍ، وَأَحْمَدَ، وَالْعَاقِبِ، وَالْحَاشِرِ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيِّ الْمَلْحَمَة

وَالثَّانِي: مَا يُشَارِكُهُ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُهُ مِنَ الرُّسُلِ وَلَكِنْ لَهُ مِنْهُ كَمَالُهُ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِكَمَالِهِ دُونَ أَصْلِهِ، كَرَسُولِ اللهِ، وَنَبِيِّهِ، وَعَبْدِهِ، وَالشَّاهِدِ، وَالْمُبَشِّرِ، وَالنَّذِيرِ، وَنَبِيِّ الرَّحْمَة ، وَنَبِيِّ التَّوْبَة وَأَمَّا إِنْ جُعِلَ لَهُ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ اسْمٌ تَجَاوَزَتْ أَسْمَاؤُهُ الْمِائَتَيْنِ، كَالصَّادِقِ، وَالْمَصْدُوقِ، وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ. وَفِي هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ النَّاسِ: إِنَّ لِلَّهِ أَلْفُ اسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ أَلْفُ اسْمٍ، قَالَهُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَة ، وَمَقْصُودُهُ الْأَوْصَافُ. اهـ[1]

قوله (الهَادِي):

جاء عن انَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قالَ: «قَبْلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَة وَهُوَ مُرْدِف، أَبَا بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَاب لَا يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَنْ هذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ:

[1] زاد المعاد (١/ ٨٤-٨٦)

هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ. قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ.[1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله:

وهو الهادي ﷺ، لكن الهادي في حقه غير الهادي في حقِ الله، الهادي في حقه ﷺ هو الدَّلالة والإرشادُ، ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشُّورَى: ٥٢] أمَّا الهادي في حقِ الله فهو شأن للهدايتين؛ هداية الدَّلالة والإرشاد، وهداية التَّوفيق، أمَّا الرَّسولُ فليس له إلا هداية الدلَّالة والإرشاد والبيان. اهـ[2]

***

[1] رواه البخاري (٣٩١٢)

[2] (من فتاويه الصوتية المفرغة في موقعه)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجميعُ آياتِ الصّفاتِ أُمِرُّهَا حَقًا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

الشَّرْحُ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يُتَجاوز القرآن والحديث»[1]

قل الله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النَّحل: ٦٠]

قال القرطبي رحمه الله وَلله الْمَثَلُ الْأَعْلى أَيِ الْوَصْفُ الْأَعْلَى.

والمراد بالصفة اصطلاحا:

التفرد بالكمال المطلق الذي يستحيل معه وجود المثل، وهو المعنى الذي تدور حوله عبارات السلف في تفسير المثل الأعلى.[2]

---

[1] الفتوى الحموية صـ٦١

[2] المثل الأعلى وآثاره صـ ٥ للدكتور عيسى السعدي.

أهل السنة مذهبهم مذهب سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى، وهو أنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله ﷺ إيمانًا سال ما من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في صفات الله وذاته بابا واحدا فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات. فيجب عندهم الإيمان بأسماء الله وصفاته التي ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة أو بأحدهما ويجب أن تُمرَّ كما جاءت بلا تكييف مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجل يجب وصفه بها على الوجه اللائق به بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالىٰ إجمالاً:

أهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله تعالى: بلا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ويمرُّونها كما جاءت مع الإيمان بمعانيها وما تدل عليه.

أولاً: التحريف: هو لغة التغيير والتبديل. واصطلاحا. تغيير ألفاظ الأسماء الحسني والصفات العلا أو معانيها. وهو ينقسم إلى قسمين:

١. القسم الأول: تحريف اللفظ بزيادة ، أو نقص، أو تغيير شكل وذلك كقول الجهمية ومن تبعهم في استوى: استولى. بزيادة اللام. وكقول اليهود:

حنطة لَما قيل لهم: قولوا حطة ، وكقول بعض المبتدعة بنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيما﴾.

٢. والقسم الثاني: تحريف المعنى وهو إبقاء اللفظ على حاله وتغيير معناه وذلك كتفسير بعض المبتدعة : الغضب بإرادة الانتقام، والرحمة بإرادة الإنعام، واليد بالنعمة .

ثانيـًا: التعطيل: هو لغة : الترك. والمراد به نفي الصفات الإلهية عن الله تعالى وإنكار قيامها بذاته تعالى أو إنكار بعضها. فيكون الفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة ، والتحريف: هو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة .

أنواع التعطيل:

التعطيل أنواع:

١. تعطيل الله عن كماله المقدس، وذلك بتعطيل أسمائه وصفاته أو تعطيل شيء من ذلك كما فعلت الجهمية والمعتزلة .

٢. تعطيل الله بترك معاملته، وذلك بترك عبادته أو بعضها، أو عبادة غيره معه.

٣. تعطيل المخلوق عن خالقه، وذلك مثل قول القائلين: إن الطبيعة هي التي أوجدت الأشياء، وإنها تتصرف بطبيعتها. وكل محرف معطل، وليس

كل معطل محرفا. فمن أثبت المعنى الباطل، ونفى المعنى الحق، فهو محرف ومعطل. أما من نفى الصفات فهو معطل وليس بمحرف.

ثالثًا: التكييف: هو السؤال بكيف. والمراد به تعيين وتحديد كنه الصفة بحيث يجعل لها كيفية معلومة ، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات؛ بل المعنى معلوم من لغة العرب، وهذا مذهب السلف كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى حينما سئل عن كيفية الاستواء فقال رحمه الله تعالى «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »

فكل صفة من صفات الله تعالى تدل على معنى حقيقي ثابت نؤمن به ونثبته لله، ولكننا لا نعرف كيفيتها، وهيئتها وصورتها. فالواجب إثبات الصفات حقيقة ومعنى، وتفويض الكيفية بخلاف الواقفة الذين يفوضون معانيها.

رابعًا: التمثيل: هو بمعنى التشبيه بحيث يُجعل لله شبيه في صفاته الذاتية أو الفعلية ، وهو قسمان:

- تشبيه المخلوق بالخالق، كما شبهت النصارى المسيح بن مريم بالله تعالى، وكما شبهت اليهود عزيراً بالله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

- تشبيه الخالق بالمخلوق، كما فعلت المشبهة الذين يقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق، ونحو ذلك من التشبيه الباطل تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. اهـ[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ن من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه (لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كُفُوَ له، ولا نِدَّ له ولا يقاس بخلقه فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه. ثم رسله صادقون مصدوقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصَّافَّات : ١٨٠ - ١٨٢] فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. وهو سبحانه قد

---

[1] (كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية صـ ٧٦ للعلامة عبد العزيز السلمان ()

جمع فيما وصف وسمىَّ به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون. فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] [1]

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

فالإلحاد في أسماء الله وصفاته جريمة عظيمة ، وهذا الذي ينفي كون الله في السماء، هذا يكذب القرآن، ويكذب السنة ، ويكذب إجماع المسلمين،

[1] (الواسطية تعليق ابن مانع صـ ٢ – ٤)

فإن كان عالما، فإنه يكفر بذلك، أما إذا كان جاه لا فإنه يبين له، فإذا أصر بعد البيان، فإنه يكون كافرا، والعياذ بالله. [1]

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القاعدة الثالثة : صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية .

فالثبوتية : ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة ، والعلم، والقدرة ، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النِّسَاء : ١٣٦] فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل

[1] (مجموع فتاوى الفوزان ١/ ١٠)

على رسوله ﷺ يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عز وجل.

وأما العقل: فلِن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العاي، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل، فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تعالى، فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه، وأصدقهم خبرا، وأنصحهم إرادة ، وأفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

والصفات السلبية :

ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك

لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فض لا عن أن يكون كما لا، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كما لا، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيلَـــــة لا يغـــــدرون بذمـــــة ولا يظلمـــون النـــاس حبـــة خـــردل

وقول الآخر:

لكـن قـومي وإن كـانوا ذوي حسـب ليسـوا مـن الشـر في شـيء وإن هانـا

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا﴾ نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّه لِيُعْجِزَه مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّه كَانَ عَلِيماً قَدِيرا﴾ لأن العجز سببه: إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القاعدة الخامسة : الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية . وفعلية .

فالذاتية : هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة . ومنها الصفات الخبرية : كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية ، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُه إِذَا أَرَادَ شَيْئا أَنْ يَقُولَ لَه كُنْ فَيَكُونُ﴾ وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته. وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم

علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة ، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [1]

إمرار الصفات:

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس مقصودنا هاهنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل، وإن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم. [2]

***

[1] (القواعد المثلى صـ ١ – ٢١)

[2] (التحف في مذاهب السلف ص ٤٤)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأرُدُّ عُهْدَتَهَا إلى نُقَّالِهَا وأصُونُهَا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

الشَّرْحُ:

المراد بالذي تُرَدُّ العهدة فيه إلى النُّقَّال هو باب الصفات فلا يُتَكَلَّم في شيء من هذا الباب إلا بوحي، والمراد بالنُّقَّال هم أهل العلم الذين نَقَلُوا هذه الأحاديث من لدن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ثم التابعين ومن جاء بعدهم.

قوله: (وأصُونُهَا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ).

أي: يصون ما جاء في هذا الباب عن التأويل والتحريف والتعطيل والتكييف، ويصون الصفات أيضا عن التخيل فإن الله أجل وأعظم من أن تتخيل صفاته. وأما الخواطر التي تَرِدُ على النفس، فلا يسلم منها أحد، بل لم يسلم منها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حتى قالوا: «إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ – والمقصود بها الخواطر التي لا يسلم منها أحد – قَالَ ﷺ وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»[1]

[1] رواه مسلم (١٣٢) عن أبي هريرة.

وجاء أيضا أنه قال: «الْحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَه إِلَى الْوَسْوَسَة »[1]

قال الإمام أحمد: كل ما أخبر الله به في كتابه من صفاته فهو كما أخبر لا كما يخطر للبشر.

ولهذا كانت قاعدة هذا الباب: «التسليم المطلق» كما ذكر أهل العلم وكما جاء عن الله عز وجل وعن الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء : ٦٥]

فهو تسليم مطلق لما جاء عن الله ورسوله، قال الطحاوي: «لا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام» [2]

***

[1] أخرجه أبو داود (٥١١٢) وصححه العلامة الألباني

[2] العقيدة الطحاوية.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قُبْحَـــًا لِمَـــنْ نَبَذَ القُـرانَ ورَاءَهُ وإذَا اسْتَـدَلَّ يَقُـولُ قَـالَ الأَخْطَلُ

الشَّرْحُ:

قال العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأصل في ذلك هو الإعراض عن الهدى والنور الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ن من الكتاب والحكمة ، والاستغناء عن ذلك بمتابعة الآباء والأهواء والعادات المخالفة لذلك.

ولهذا كرر الله تعالى الأمر بمتابعة الكتاب والسنة في مواضعَ كثيرة من القرآن، وضرب الأمثال لذلك، وأكده وتوعد على الإعراض عنه، وما ذاك إلا لشدة الحاجة ، بل الضرورة إلى ذلك فوق كل ضرورة ، فإنه لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بذلك، ومتى لم يحصل ذلك للعبد فهو ميت.

كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٢٢] فسمى الخالي عن هذا الهدى والنور ميتا، وسمى من حصل له ذلك حيا، وذلك أنه لا مقصود به في حياة الدنيا إلا توحيد الله تعالى، ومعرفته وخدمته، والإخلاص له، والاستلذاذ بذكره، والتذلل لعظمته

والانقياد لأوامره، والإنابة إليه، والإسلام له، فإذا حصل هذا للعبد، فهو الحي، بل قد حصلت له الحياة الطيبة في الدارين.

كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النَّحل : ٩٧]

فإذا فاته هذا المقصود فهو ميت، بل شر من الميت. قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٣]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٥٣]

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المَائِدَة : ١٥ - ١٦]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النِّسَاء : ١٧٤]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النِّسَاء : ٥٩] إلى قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء : ٦٤ - ٦٥]

وقال تعالى: ﴿نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّحل : ٨٩]

وقال تعالى: ﴿قَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾﴾ [طه : ٩٩ - ١٠١]

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٤]

قال ابن عباس: تكفل الله لِمَن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا ﴿يَضِلُّ﴾ في الدنيا، ﴿وَلا يَشْقَى﴾ في الآخرة .

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشُورَى : ٥٢]

فيا عجبا مِمَّن يزعم أن الهداية والسعادة لا تحصل بالقرآن ولا بالسنة ، مع أن النبي ﷺ لم يهتد إلا بذلك.

كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾ [سَبَإ : ٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحَشْر: ٧] [1]

قوله: (قُبْحًا): القبيح: ضد الحسن.

قوله: (لِمَنْ نَبَذَ): أي: طرح.

قوله: (ورَاءَهُ): فلم يلتفت إليه بل أعرض عنه ورغب عن هديه.

---

[1] (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد صـ ٤ -٥)

قوله: (وإذَا اسْتَدَلَّ) أي: في مسائل العقائد (يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ) ويعني بذلك الشاعر النصراني المعروف والخطل في اللغة هو الخطأ.

واسمه: أبو مالك غياث بن غوث التغلبي، نشأ في العراق، وهو شاعر نصراني، سليط اللسان، مدمن على شرب الخمر، توفي سنة (٢٩هـ.)[١]

ويشير الناظم هنا إلى شناعة ما قام به بعض المبتدعة الذين نفوا صفة الكلام عن الله عز وجل بحجة ضعيفة باهتة وهي بيت قاله الأخطل وهو:

إِنَّ الكلامَ لفي الفُؤادِ وإِنَّمَا جُعِلَ اللسانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلَا

فاستدلوا بهذا البيت وقالوا: إن كلام الله هو الكلام النفسي، وإن الكلام في الحقيقة هو ما يقوم بالنفس.

ومقتضى قولهم هذا إنكار صفة الكلام لله سبحانه. اهـ[٢]

❊❊❊

[١] (انظر: البداية والنهاية ٩ / ٩٧) (، وتاريخ الأدب العربي ص٦١)

[٢] (البدر التمام شرح لامية شيخ الإسلام صـ٨١ للشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل.)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمؤمنـــونَ يَرونَ حَقًا رَبَّهُمُ وإلـى السمـاءِ بِغَيـرِ كَيـفٍ يَنْـزِلُ

الشَّرْحُ:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح. اهـ[1]

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة : ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المُطَفِّفِين : ١٥] فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي ﷺ «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته»[2] وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.[3]

---

[1] اصول أهل السنة ١/ ٦

[2] رواه البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

[3] لمعة الإعتقاد صـ٢٢

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة :

وَقَوْلُه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة : ٢٢ - ٢٣]

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ [المُطَفِّفِين : ٢٣]

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس : ٢٦]

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق : ٣٥]

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ الله تَعَالَى كَثِير.

وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِب ا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَه طَرِيقُ الْحَقِ[1]

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، يرون الله بأبصار رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان.[2]

والأدلة على الرؤية كثيرة ، بلغت حد التواتر من القرآن والسنة وكلام الأئمة:

فمن القرآن:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة ۝٢٢﴾ [القِيَامَة : ٢٢]

---

[1] العقيدة الواسطية صـ٧٤

[2] شرح السنة للبربهاري صـ٤٢

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يُونُس : ٢٦]

وعن صُهَيب عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهلُ الجنة الجنة ، قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تُدْخِلنا الجنة وتنجنا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أُعطُوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل. (١)

وفي رواية : ثم تلا هذه الآية : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس : ٢٦]

قال البغوي في تفسيره: قال جابر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو النظر إلى وجه الله الكريم.

قال ابن كثير في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿ولَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق : ٣٥] كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس : ٢٦]

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المُطَفِّفِين : ١٥]

---

(١) رواه مسلم (١٨١)

قال الإمام الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ.

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله الشافعي رحمه الله تعالى في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية ؛ كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة : ٢٢ - ٢٣]

قال ابن حجر في الفتح[1]: أخرج أبو العباس السراج في تاريخه عن الحسن بن عبد العزيز الجروي وهو من شيوخ البخاري سمعت عمرو بن سلمة يقول: سمعت مالك بن أنس، وقيل له: يا أبا عبد الله، قول الله تعالى ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يقول قوم ثوابه، فقال كذبوا؛ فأين هم عن قوله ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المُطَفِّفِين : ١٥]

وقوله تعالى :﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق : ٣٥]

قال الآجري في كتاب الشريعة : إن أحمد بن حنبل بلغه عن رجلٍ أنه قال: إن الله عز وجل لا يُرَى في الآخرة ، فغضب غضبا شديدا، ثم قال: من قال: إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة ، فقد كفر، عليه لعنة الله والناس، أليس الله – جل ذكره– قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة : ٢٢ - ٢٣] وقال عز

---

[1] (١٣/ ٤٢٦)

وجل: قوله ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المُطَفِّفِين : ١٥] هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله عز وجل.[1]

قد نقل ابن كثير في تفسيره في سورة القيامة ، بعدما ساق بعض الأحاديث في رؤية المؤمنين ربهم في الدار الآخرة ، قال: وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متَّفق عليه بين أئمة المسلمين وهداة الأنام.

قال العلامة الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد نفاها المعتزلة ؛ بناء على نفيهم الجهة عن الله؛ لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة ، وهي شرط في الرؤية ؛ فالرؤية كذلك مستحيلة .

واحتجوا من النقل بقوله تعالى: لا تدركه الأبصار، وقوله لموسى عليه السلام حين سأله الرؤية : لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني.

وأما الأشاعرة ؛ فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة يثبتون الرؤية ، ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية ، فمنهم من قال: يرونه من جميع الجهات، ومنهم

---

[1] الشريعة ٢/ ٩٨٦

من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر، وقال: المقصود زيادة الانكشاف والتجلي حتى كأنها رؤية عين.

وهذه الآيات التي أوردها المؤلف حجة على المعتزلة في نفيهم الرؤية ؛ فإن الآية الأولى عدي النظر فيها (بـ إلى) فيكون بمعنى الإبصار؛ يقال: نظرت إليه وأبصرته بمعنى، ومتعلق النظر هو الرب جل شأنه. وأما ما يتكلفه المعتزلة من جعلهم (ناظرة) بمعنى منتظرة و(إلى) بمعنى النعمة ، والتقدير: ثواب ربها منتظرة ؛ فهو تأويل مضحك.

وَأَمَّا الْآيَة الثَّانِيَة ؛ فَتُفِيدُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّة ، وَهُمْ عَلَى أَرَائِكِهِمْ - يَعْنِي: أَسِرَّتَهم، جَمْعُ أَرِيكَة يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِاهِمْ.

وَأَمَّا الْآيَتَانِ الْأَخِيرَتَانِ؛ فَقَدْ صح عَنِ النَّبِي ﷺ تَفْسِيرُ الزِيَادَة بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الله عز وجل.

وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَيْضا قَوْلُه تَعَالَى فِي حَقِ الْكُفَّارِ ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِاهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فدلَّ حَجْبُ هَؤُلَاءِ عَلَى أَنَّ أولياءَه يَرَوْنَه.

وَأَحَادِيثُ الرُّؤْيَة مُتَوَاتِرَة فِي هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ، لَا يُنْكِرُهَا إِلّا مُلْحد زِنْدِيق.

وَأَمَّا مَا احتج بِهِ الْمُعْتَزِلَة مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لا تُدْرِكُه الأَبْصَارُ﴾ فَلَا حُجَّة لَهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْإِدْرَاكِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الرُّؤْيَة ، فَالْمُرَادُ أَنَّ الْأَبْصَارَ تَرَاهُ، وَلَكِنْ لَا تُحِيط بِهِ رُؤْيَة ؛ كَمَا أَنَّ الْعُقُولَ تَعْلَمُه وَلَكِنْ لَا تُحِيط بِهِ عِلْما؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الرُّؤْيَة عَلَى جِهَة الْإِحَاطَة ، فَهُوَ رُؤْيَة خَاصَّة ، وَنَفْيُ الْخَاصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ مُطْلَقِ الرُّؤْيَة .

وَكَذَلِكَ اسْتِدْلَالُهُمْ عَلَى نَفْي الرُّؤْيَة بِقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى ﴿لَن تَرَانِي﴾ لَا يَصْلُحُ دَلِي لا، بَلِ الْآيَة تَدُلُّ عَلَى الرُّؤْيَة مِنْ وجوهٍ كثيرة ؛ مِنْهَا:

١. وُقُوعُ السُّؤَالِ مِنْ مُوسَى، وَهُوَ رَسُولُ الله وَكَلِيمُهُ، وَهُوَ أعلمُ بِمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِ الله مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَة ، فَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَة مُمْتَنِعَة لَمَا طَلَبَهَا.

٢. أَنَّ الله عز وجل عَلَّقَ الرُّؤْيَة عَلَى اسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ حَالَ التجلِي وَهُوَ ممكن، والمعلَّق عَلَى الْمُمْكِنِ ممكن.

٣. أَنَّ الله تجلَّى لِلْجَبَلِ بِالْفِعْلِ، وَهُوَ جما د، فَلَا يَمْتَنِعُ إِذ ا أَنْ يتجلَّى لِأَهْلِ محبَّته وَأَصْفِيَائِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ ﴿لَن﴾، لِتَأْبِيدِ النَّفْي وَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى عَدَمِ وُقُوع الرُّؤْيَة أَصْلا؛ فَهُوَ كَذِب عَلَى اللُّغَة فَقَدْ قَالَ تَعَالَى حِكَايَة عَنِ الْكُفَّارِ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْه أَبَدا﴾ ثُمَّ قال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فَأَخبَرَ عَنْ عَدَمِ تمنيهم لِلْمَوْتِ بِـ ﴿لَن﴾، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تمنيهم لَه وَهُمْ فِي النَّارِ.

وَإِذا؛ فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَن تَرَانِي﴾: لَنْ تَسْتَطِيعَ رُؤْيَتِي فِي الدُّنْيَا؛ لِضَعْفِ قُوَى الْبَشَرِ فِيهَا عَنْ رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَة مُمْتَنِعَة لِذَاتِهَا؛ لَقَالَ: إني لَا أُرى أَوْ لَا يَجُوزُ رُؤْيَتِي، أَوْ لَسْتُ بمرئي وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَاللّه أَعْلَمُ. ا.هـ[1]

قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإلىٰ السماءِ بِغَيرِ كَيفٍ يَنْزِلُ)

الشَّرْحُ:

ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَة إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلَنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِر له[2]

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالنُّزُولُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِي عَلَى قَائِلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاة وَالسَّلَامِ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ: الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِم وَاتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ عَلَى صِحَّتِهِ هُوَ: «إذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» وَأَمَّا رِوَايَة النصْفِ وَالثُّلُثَيْنِ فَانْفَرَدَ بِهَا مُسْلِم فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَقَدْ قَالَ: الترْمِذِيُّ: إنَّ أَصَحَّ الروَايَاتِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «إذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِي ﷺ مِنْ رِوَايَة جَمَاعَة كَثِيرَة مِنْ الصَّحَابَة كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ هَذَا فَهُوَ حَدِيث مُتَوَاتِر عِنْدَ

---

[1] العقيدة الواسطية صـ١٥٦ – ١٥٨

[2] رواه البخاري (٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨)

أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَالَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ إذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ. فَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ ذَكَرَ «النُّزُولَ» أَيْضا إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ وَإِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ فَقَوْلُه حَق وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ وَيَكُونُ النُّزُولُ أَنْوَاعا ثَلَاثَة : الْأَوَّلُ إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ إذَا انْتَصَفَ وَهُوَ أَبْلَغُ ثُمَّ إذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ وَهُوَ أَبْلَغُ الْأَنْوَاع الثَّلَاثَة . اهـ[1]

وقال شيخ الإسلام أيضا: وَبِهَذَا يَحْتَجُّ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُه عَلَى نَفْي الْمِثْلِ. يُقَالُ: يَنْزِلُ نُزُو لا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ء نَزَلَ نُزُولا لَا يُمَاثِلُ نُزُولَ الْمَخْلُوقِينَ نُزُولا يَخْتَصُّ بِهِ كَمَا أَنَّه فِي ذَلِكَ وَفِي سَائِرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ء فِي ذَلِكَ. وَهُوَ مُنَزَّه أَنْ يَكُونَ نُزُولُه كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ وَحَرَكَتِهِمْ وَانْتِقَالِهِمْ وَزَوَالِهِمْ مُطْلَقًا لَا نُزُولَ الْآدَمِيينَ وَلَا غَيْرِهِمْ. فَالْمَخْلُوقُ إذَا نَزَلَ مِنْ عُلْوٍ إلَى سُفْلٍ زَالَ وَصْفُه بِالْعُلُوِ وَتَبَدَّلَ إلَى وَصْفِهِ بِالسُّفُولِ وَصَارَ غَيْرُه أَعْلَى مِنْه. وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَكُونُ شَيْ ء أَعْلَى مِنْه قَطُّ بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَلَا يَزَالُ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى مَعَ أَنَّه يَقْرُبُ إلَى عِبَادِهِ وَيَدْنُو مِنْهُمْ وَيَنْزِلُ إلَى حَيْثُ شَاءَ وَيَأْتِي كَمَا شَاءَ. وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي عَلِيٌّ فِي دُنُوِهِ قَرِيب فِي عُلُوِهِ. فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِفْ

[1] مجموع الفتاوى ٥/ ٤٧٥

بِهِ غَيْرُه فَلِعَجْزِ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا. كَمَا يَعْجِزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.[1]

قال الإمام الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذي صنفه، وسمعت من حفيده أبي طاهر باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة ، من غير صفة كيفية النزول مع إثبات النزول، فنشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه، مستيقن بما فيها من الأخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا محمدا ﷺ لم الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين بالنزول بصفة الكيفية ، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول. اهـ[2]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ونحو ذلك من صفات كماله ونعوت جلاله. اهـ[3]

---

[1] مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٢٤

[2] (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)

[3] الصواعق المرسلة ١/ ٥٠٢

قال العلامة الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَة حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلَنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. [1]

قَوْلُه: «فَمِنْ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ. . . » إلخ؛ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ جِهَتَيْنِ:

الْأُولَى: صحَّته مِنْ جِهَة النَّقْلِ؛ وَقَدْ ذَكَرَ المؤلِف أَنَّه متَّفق عَلَيْهِ.

وَيَقُولُ الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْعُلُوُّ للعلي الْغَفَّارِ» «إِنَّ أَحَادِيثَ النُّزُولِ مُتَوَاتِرَة ، تُفِيدُ الْقَطْعَ» وَعَلَى هَذَا؛ فَلَا مَجَالَ لِإِنْكَارٍ أَوْ جُحُودٍ.

الثَّانِيَة : مَا يُفِيدُه هَذَا الْحَدِيثُ؛ وَهُوَ إِخْبَارُه ﷺ بِنُزُولِ الربِ كُلَّ لَيْلَة . . . إلخ.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ النُّزُولَ صِفَة لِلَّه عز وجل عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَهُوَ لَا يُمَاثِلُ نُزُولَ الْخَلْقِ؛ كَمَا أَنَّ اسْتِوَاءَه لَا يُمَاثِلُ اسْتِوَاءَ الْخَلْقِ. [2]

---

[1] رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

[2] شرح الواسطية للهراس صـ ١٦٤-١٦٥

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والقول المشهور عن السلف عند أهل السنة والحديث: هو الإقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتي وينزل، وغير ذلك من الأفعال اللازمة .

قال أبو عمرو الطلمنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أجمعوا يعني أهل السنة والجماعة - على أن الله يأتي يوم القيامة والملائكة صفًا صفًا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء، قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البَقَرَة : ٢١٠] وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفَجر : ٢٢]

قال: وأجمعوا على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء، لا يحدون في ذلك شيئا، ثم روى بإسناده عن محمد بن وضاح قال: وسألت يحيى بن معين عن النزول فقال: نعم، أقر به، ولا أحد فيه حداً. [1]

***

[1] شرح حديث النزول صـ١٨٨

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأُقِـرُّ بِالميزانِ والحــوضِ الذِي أَرْجُــو بــأنِي مِنْــهُ رِيًا أنْهَـلُ

الشَّرْحُ:

قوله: (وأقر).

الإقرار في اللغة : الإذعان للحق والاعتراف به، ويطلق أيضا على الإثبات، فيقال: قر الشيء يقر إقراراً إذا ثبت. [1]

وفي اصطلاح الفقهاء: إخبار عن ثبوت حق للغير على نفسه، أو الاعتراف به. [2]

لقد دلَّ الكتابُ والسُّنة والإجماعُ على أنَّ أعمالَ العباد تُوزَنُ يومَ القيامة ، قالَ تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء : ٤٧]

---

[1] القاموس المحيط

[2] الجامع لأخلاق القرآن للقرطبي

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: يُصاحُ برجلٍ من أمَّتي يومَ القيامة على رءوسِ الخلائقِ، فيُنشَرُ لَه تسعة وَتِسْعونَ سجلاً، كلُّ سجل مدَّ البصرِ، ثمَّ يقولُ الله عزَّ وجلَّ: هل تُنكرُ من هذا شيئا؟ فيقولُ: لا، يا ربِ، فيقولُ: أظلمَتكَ كتبتي الحافظونَ ثمَّ يقولُ: ألَكَ عن ذلكَ حسنة ؟ فيهابُ الرَّجلُ، فيقولُ: لا، فيقولُ: بلَى، إنَّ لَكَ عندَنا حسَناتٍ وإنَّه لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فتُخرَجُ لَه بطاقة فيها: أشهدُ أن لا إلَه إلّا الله، وأنَّ محمَّدا عبدُه ورسولُه، قالَ: فَيقولُ: يا ر بِ ما هذِهِ البطاقة ، معَ هذِهِ السجلَّاتِ فيقولُ: إنَّكَ لا تُظلَمُ، فتوضَعُ السِّجلَّاتُ في كفَّة ، والبطاقة في كفَّة ، فَطاشتِ السجلَّاتُ، وثقُلتِ البطاقة قالَ محمَّدُ بنُ يحيى: البطاقة : الرُّقعة ، وأَهْلُ مِصرَ يقولونَ للرُّقعة : بِطاقة . [1]

[1] رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٨٨)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ علَى اللِسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ. [1]

وعن أنس رضي الله عنه قال: سألت النَّبيَّ ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامة فقالَ أنا فاعِل قلتُ يا رسولَ الله فأينَ أطلبُكَ قالَ اطلُبني أوَّلَ ما تطلُبُني على الصراطِ. قالَ قلت فإن لم ألقَكَ على الصراطِ قالَ فاطلُبني عندَ الميزانِ. قلتُ فإن لم ألقَكَ عندَ الميزانِ قالَ فاطلُبني عندَ الحوضِ فإني لا أخطئُ هذِهِ الثَّلاثَ المواطنَ. [2]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: إنَّه لَيَأْتي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَومَ القِيامَة، لا يَزِنُ عِنْدَ الله جَناحَ بَعُوضَة، وقالَ: اقْرَؤُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكَهْف: ١٠٥] [3]

---

[1] رواه البخاري (٦٦٨٢) ومسلم (٢٦٩٤)

[2] أخرجه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٣٣)

[3] رواه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥)

وعن عبدَ اللهِ بنَ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: انْكَشَفَتْ ساقُه، وكانت دقيقة هزيلة، فضَحِكَ منها بعضُ الحاضِرِينَ. فقال النبيُّ: أَتَضْحَكُونَ من دِقَّة ساقَيْهِ والذي نفسي بيدِه لَهُمَا أَثْقَلُ في الميزانِ من جَبَلِ أُحُدٍ. [1]

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة ويوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر والإيمان به والتصديق به والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته [2]

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف، ويحاسب المؤمنين. [3]

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتَقُومُ الْقِيَامَة الَّتِي أَخْبَرَ الله بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهُ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِ الْعَالَمِينَ حُفَاة عُرَاة غُرْ لا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ. فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

---

[1] أخرجه أحمد (٣٩٩١) وابن حبان (٧٠٦٩) والطبراني (٩/ ٧٥) (٨٤٥٢) وحسنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)

[2] اصول أهل السنة للإمام أحمد.

[3] الابانة عن أصول الديانة صـ٢٦

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾

[المُؤْمِنُون: ١٠٣-١٠٤] [1]

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَة وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَقِرَاءَة الْكِتَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالصرَاطِ وَالْمِيزَانِ. [2]

قال العلامة عبد العزيز الراجحي حفظه الله في شرح السنة: قال المؤلف رحمه الله تعالى: والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان وله لسان.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، فهم يؤمنون بالميزان يوم القيامة، أي: أن هناك ميزانًا توزن فيه أعمال العباد وأقوالهم.

والله تعالى قادر على أن يزنها، فهي توزن ولو كانت أعراضًا، فإن الله تعالى يجعلها أجسامًا، وتكون الخفة والثقل على حسب صلاح العمل، فالذي أعماله صالحه فإنها تثقل في الميزان، والذي أعماله غير صالحة فإنها تخف في الميزان.

---

[1] العقيدة الواسطية شرح الهراس صـ٢٠٤

[2] العقيدة الطحاوية.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة، أن الميزان له لسان وله كفتان، كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الميزان له لسان وكفتان) وجاء في بعض الأحاديث أن كفتي الميزان كأطباق السماوات والأرض، فهو ميزان حسي، له كفتان ولسان، توزن فيه الأعمال، ويوزن فيه الأشخاص أيضا على حسب العمل، كما قال الله تعالى عن الكفرة: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] وفي الحديث: يؤتى بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة.

وثبت في الحديث الصحيح أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كشفت الريح عن ساقيه، وكان دقيق الساقين فضحك الصحابة، فقال النبي ﷺ لم تضحكون قالوا: من دقة ساقيه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده، لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد.

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد، أو أن هناك موازين متعددة، فمن العلماء من قال: إنه ميزان واحد، ومنهم من قال: هي موازين متعددة، لكل شخص ميزان، ولكل أمة ميزان، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ومن قال إنه ميزان واحد أجاب عن ذلك بأنها جمعت باعتبار الموزون، وإلا فهو ميزان واحد.

فالمقصود أنه ميزان حسي، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك أهل البدع كالمعتزلة، فقالوا: ليس هناك ميزان حسي وإنما هو ميزان معنوي، وحجتهم في ذلك قالوا: الرب لا يحتاج إلى الميزان؛ لأنه ليس عاجزا، والميزان لا يحتاج إليه إلا البقال والفوال، أما الرب فلا يحتاج إلى الميزان، فأنكروا الميزان، وهذا من جهلهم وضلالهم؛ لأنهم يعملون عقولهم في النصوص، فهذا من أبطل الباطل، فإن هناك ميزانا حسيًا توزن فيه الأعمال والأشخاص، فمن ثقلت موازينه فهو من السعداء، ومن خفت موازينه فهو من الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧﴾ [القَارِعَة: ٦ -٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القَارِعَة: ٨ -١١] ويوزن فيه الخير والشر.

هذا هو الصواب، أنه ميزان حسي له لسان وكفتان خلافا للمعتزلة القائلين بأنه ميزان معنوي. [1]

[1] شرح السنة للبربهاري ٣/ ٧

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(و الحوضِ الذِي أَرْجُوا بأنِي مِنْهُ رِيـًا أنْهَلُ)**

الشَّرْحُ:

هناك أبيات جميلة يصف فيها صاحبها الحوض فقال:

يا غافلا عن بردْ ماءِ الكوثرِ ... عند اشتداد الحر يومَ المحشرِ
حوض النَّبي محمدٍ حصباؤه ... من لؤلؤٍ وزَبْرجدٍ مع جوهرِ
من تحت عرش الله ميزابان ... شخابان فيه بمائة المتفجرِ
فيه أباريق اللجين وأولُ ... الشراب منه كلُّ أشعثِ أغبرِ
والله لو بعث الحياة بشُربة ... تروي بها من مائة لم تخسرِ [1]

وأهل السنة يؤمنون بالحوض وعلى ذلك أدلة كثيرة ومنها.

حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النَّبي ﷺ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَام أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَ ينِي وَبَيْنَهُمْ [2]

---

[1] (الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار صـ٨) للجلال السيوطي

[2] رواه البخاري (٧٠٥٠- ٧٠٥١) ومسلم (٢٢٩٠)

وجاء من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النَّبي ﷺ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْض.[1]

والفرط: هو الذي يسبق إلى الحوض.

وجاء من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: إِني فَرَط لَكُمْ وَأَنَا شَهِيد عَلَيْكُمْ وَإِني وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ.[2]

وفي هذا الحديث أيضا دلالة على أن الحوض مخلوق وموجود الآن لقوله عليه الصلاة والسلام وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن.

وجاء من حديث اسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ قالَ: يا رَسولَ الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كما اسْتَعْمَلْتَ فُلَانا قالَ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَة، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ.[3]

وفي هذا دلالة على فضيلة الصبر على ما يحصل من الولاة وغيرهم فالموعد في الآخرة الورود على حوض لنبي ﷺ.

---

[1] رواه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩)

[2] رواه البخاري (١٣٤٤)

[3] رواه البخاري (٣٧٩٢)

وجاء عن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قالت: قال رَسولُ الله ﷺ إني على الحَوضِ حَتَّى أنظُرَ مَن يَرِدُ عليَّ مِنكم، وسَيُؤخَذُ أنا س دوني فأقولُ: يا رَبِ، مني ومِن أمَّتي فيُقالُ: أمَا شَعَرتَ ما عَمِلوا بَعدَك واللهِ ما بَرِحوا بَعدَك يَرجِعونَ على أعقابِهم.

وفي هذا الحديث العظيم فضيلة للمتبعين للنبي ﷺ السائرين على ما كان عليه الصحابة رضي عنهم.

وفيه الوعيد الشديد لمن غير وبدل وابتدع في دين الله ما ليس منه يُحرم الورود على الحوض ويُحرم الشرب منه بسبب بدعه ومخالفاته وتغييره وتبديله نسأل الله العافية.

وجاء عن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قال: إنِي لَبِعُقْرِ حوضي أذودُ النَّاسَ لأهلِ اليَمَنِ، أضرِبُ بعصاي حتى يَرفَضَّ عليهم فسُئِلَ عن عَرْضِه فقال: من مقامي إلى عَمَّانَ وسُئِلَ عن شرابِه فقال: أشدُّ بياضا من اللَّبَنِ، وأحلى من العَسَلِ، يَغُتُّ فيه ميزابانِ يمدَّانِه من الجنَّة، أحَدُهما من ذهبٍ، والآخَرُ مِن وَرِقٍ.[1]

---

[1] رواه مسلم (٢٣٠٤)

وفي هذا الحديث فضيلة لأهل اليمن من أهل السنة والاتباع ولا يدخل فيهم أهل البدع والانحراف.

وفيه بيان عرض الحوض من مقام النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة النبوية إلى عمان وهي مسافة تقدر بالكيلو (١١٣٥ كم).

وفيه صفة شرابة ولونه أشد بياضا من اللبن وحلاوته تفوق حلاوة العسل.

وفيه أن له ميزابان أحدهما من ذهب والآخر من فضة.

وفيه أن الشراب الذي فيه يصب إليه من الجنة.

وجاء من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ما بينَ ناحِيَتَي حَوْضِي كما بيْنَ صنعاءَ والمدينة، أوْ كما بيْنَ المدينَة وعمَّانَ، تَرَى فيه أباريقَ الذهبِ والفضة كعددِ نجومِ السماءِ، أوْ أكثرَ. [1]

في الحديث بيان عظمة هذا الحوض وأن مساحته كما بين المدينة وصنعاء وتقدر بمسافة (١٤٣٠كم).

وفيه أن من يشرب منه يشرب في آنية الذهب والفضة وهذا من النعيم.

---

[1] رواه مسلم (٢٣٠٣) وابن ماجه (٤٣٠٤) وأحمد (١٣٢٩٤)

وفيه كثرة اباريقه وأنها كعدد نجوم السماء وهذا فيه دلالة على كثرة من يرد عليه جعلنا الله وإياكم ممن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَة فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَة بِضْع وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًا، وَلَقَدِ اسْتَقْصَى طُرُقَهَا شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كَثِيرٍ، تَغَمَّدَهُ الله بِرَحْمَتِهِ، فِي آخِرِ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ، الْمُسَمَّى بـ «الْبِدَايَة وَالنهَايَة». فَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَة إِلَى صَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» وَعَنْهُ أَيْضا عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاس مِنْ أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمُ اخْتَلَجُوا دُونِي، فأقول: أصحابي فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». رَوَاهُ مُسْلِم. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَغْفَى رَسُولُ الله ﷺ إِغْفَاة، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِما، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «إِنَّهُ أُنزِلَتْ عَلِيَّ آنِفا سُورَة» فَقَرَأَ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هوَ نَهْر أَعْطَانِيهِ رَبِي عز وجل فِي الْجَنَّة، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَة، آنِيَتُهُ عَدَدَ الْكَوَاكِبِ، يَخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. وَرَوَاهُ مُسْلِم، وَلَفْظُهُ

هُوَ نَهْر وَعَدَنِيهِ رَبي، عَلَيْهِ خَيْرُ كَثِير، هُوَ حَوْض تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَة وَالْبَاقِي مِثْلُهُ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ منْ ذَلِكَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ، وَالْحَوْضُ فِي الْعَرَصَاتِ قَبْلَ الصرَاطِ؛ لِأَنَّهُ يُخْتَلَجُ عَنْهُ، وَيُمْنَعُ مِنْهُ، أَقْوَام قَدِ ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمِثْلُ هؤُلَاءِ لَا يُجَاوِزُونَ الصرَاطَ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِم عَنْ جندب بن عبد الله البجلي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَالْفَرَطُ: الَّذِي يَسْبِقُ إِلَى الْمَاءِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سهل بن سعد الأنصاري قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «إِني فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَام أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ ابن أبي عياش فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، سمعته وَهُوَ يَزِيدُ: فَأَقُولُ «إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي» فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَقَالَ سُحْقا سُحْقـًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي سُحْقا: أَيْ بعدا.

والذي يتخلص مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَة فِي صِفَة الْحَوْضِ: أَنَّهُ حَوْض عَظِيم، وَمَوْرِد كَرِيم، يُمَدُّ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّة، مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بَيَاضا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحا مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَة الِاتسَاعِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاء، كُلُّ زَاوِيَة مِنْ زَوَايَاهُ مَسِيرَة شَهْرٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ كُلَّمَا شُرِبَ مِنْهُ وَهُوَ فِي زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من

المسك والرضراض من اللؤلؤ وقُضْبَانَ الذَّهَبِ، وَيُثْمِرُ أَلْوَانَ الْجَوَاهِرِ، فَسُبْحَانَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْ ء، وَقَدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ: إِنَّ لِكُل نَبِي حَوْضا، وَإِنَّ حَوْضَ نَبِيانَا ﷺ أَعْظَمُهَا وَأَحْلَاها وَأَكْثَرُهَا وَارِدا جَعَلَنَا الله مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

قَالَ الْعَلَّامَة أَبُو عَبْدِ الله الْقُرْطُبِيُّ: فِي «التَّذْكِرَة»: وَاخْتُلِفَ فِي الْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ: أَيُّهُمَا يَكُونُ قَبْلَ الْآخَرِ فَقِيلَ: الْمِيزَانُ، وَقِيلَ: الْحَوْضُ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَابِسِيُّ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحَوْضَ قَبْلُ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالْمَعْنَى يَقْتَضِيهِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَخْرُجُونَ عِطَاشا مِنْ قُبُورِهِمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فَيُقَدَّمُ قَبْلَ الْمِيزَانِ وَالصرَاطِ، قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ «كَشْفِ عِلْمِ الْآخِرَة»: حَكَى بَعْضُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ التَّصْنِيفِ، أَنَّ الْحَوْضَ يُورَدُ بَعْدَ الصرَاطِ، وَهُوَ غَلَط مِنْ قَائِلِهِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هُوَ كَمَا قَالَ، ثُمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، بَلْ فِي الْأَرْضِ الْمُبَدَّلَة، أَرْضٍ بَيْضَاءَ كَالْفِضَّة، لَمْ يُسْفَكْ فِيهَا دَم، وَلَمْ يُظْلَمْ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَد قَطُّ، تَظْهَرُ لِنُزُولِ الْجَبَّارِ عز وجل لِفَصْلِ الْقَضَاءِ. انْتَهَى. فَقَاتَلَ الله الْمُنْكِرِينَ لِوُجُودِ الْحَوْضِ، وَأَخْلِقْ بِهِمْ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ وُرُودِهِ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ. اهـ[1]

[1] (شرح العقيدة الطحاوية صـ ٢٢٧_ ٢٢٩)

قال ابن عبد البر: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم. اهـ[1]

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قد تقدَّم القول على كثير من معاني أحاديث هذا الباب في كتاب الطهارة. ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به: أن الله تعالى قد خصَّ نبيه محمدا ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرَّح باسمه، وصفته، وشرابه وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، واليقين التواتري، إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين. في الصحيحين منهم نيف على العشرين، وباقيهم في غيرهما، مما صح نقله، واشتهرت روايته، ثم قد رواها عن الصحابة من التابعين أمثالُهم، ثم لم تزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار، وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار، تتوفر همم الناقلين لها على روايتها وتخليدها في الأمهات، وتدوينها، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وقامت به حجة الله علينا، فلزمنا الإيمان بذلك، والتصديق به، كما أجمع عليه السلف، وأهل السنة من الخلف، وقد أنكرته طائفة من المبتدعة، وأحالوه عن ظاهره، وغلوا في تأويله من غير

---

[1] (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١/ ٥٨٣)

إحالة عقلية، ولا عادية، تلزم من إقراره على ظاهره، ولا منازعة سمعية، ولا نقلية تدعو إلى تأويله، فتأويله تحريف صدر عن عقل سخيف خرق به إجماع السلف، وفارق به مذهب أئمة الخلف. [1]

مسألة: ما الفرق بين الكوثر والحوض؟

الفرق بينهما أن الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله تعالى نبيه ﷺ وأما الحوض فإنه في عرصات القيامة، يصب عليه ميزابان من الكوثر، هذا الحوض عظيم طوله شهر وعرضه شهر، يرِده المؤمنون من أمة محمدٍ ﷺ جعلنا الله وإياكم ممن يرده ويشرب منه، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، وريحه أطيب من ريح المسك، وآنيته كنجوم السماء في حسنها وكثرتها. [2]

❊❊❊

---

[1] (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/ ٩٠)

[2] (فتاوى نور على الدرب للعلامة العثيمين ٤/ ٢)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكـذا الصـراطَ يُمَدُّ فوقَ جَهنَّـمٍ فَمُـوحِّـدٌ نَـاجٍ وآخـرُ مُهْمَـلُ

الشَّرْحُ:

قال الحافظ في الفتح: أَيِ الْجِسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَى جَهَنَّمَ لِعُبُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَهُوَ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَيَجُوزُ كَسْرُهَا.[1]

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى: الصراط مورود يجوزُه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوثقتهم فيها أعمالهم. اهـ[2]

قال تعالى: ﴿إِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مَرْيَم: ٧١ -٧٢]

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: وَاخْتَلَفَ الْمُفَسرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مَا هُوَ وَالْأَظْهَرُ وَالْأَقْوَى أَنَّهُ

---

[1] (فتح الباري ١١/ ٤٤٦)

[2] (الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) صـ ١١٢/ ١١٣)

الْمُرُورُ عَلَى الصرَاطِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيا﴾[1]

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: ووورودهم هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها. اهـ

قال النووي في شرحه صحيح مسلم: «والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون»[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَالصرَاطُ» مَنْصُوب عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّة وَالنَّارِ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالريحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوا وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيـًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفا وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ

---

[1] (شرح الطحاوية صـ٤١٦)

[2] (شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٥٨)

الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّة.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَة بَيْنَ الْجَنَّة وَالنَّارِ؛ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِابُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّة. [1]

وجاء عن أبي سَعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: يُؤتى بالجِسرِ فيُجعَلُ بينَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ قُلنا: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسرُ قال: مَدحَضة مَزِلَّة، عليه خَطاطيفُ وكَلاليبُ وحَسَكة مُفَلطَحة لها شَوكة عُقَيفاءُ تَكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها السَّعدانُ المُؤمِنُ عليها كالطَّرْفِ وكالبَرقِ وكالريحِ وكَأجاويدِ الخَيلِ والركابِ؛ فناجٍ مَخدوش، ومَكدوس في نارِ جَهنَّمَ. [2]

والصراط يجتازه من كان معه نور من أهل التقوى والإيمان الصادق بالله ورسوله يقول الله جل وعلا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ [الحديد: ٢٨]

---

[1] (العقيدة الواسطية صـ٩٩-١٠٠)

[2] رواه البخاري (٧٤٣٩)

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورا تَمْشُونَ بِهِ يَعْنِي عَلَى الصراط. ا.هـ [1]

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بالصراط على جهنم، يأخذ الصراط من شاء الله، ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر إيمانهم. اهـ [2]

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، ثم كشد الرحال، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول: «يارب سلم سلم» حتى تعجز أعمال العباد، فيأتي من يزحف. وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكردس في النار.

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله أعاننا الله عليها. اهـ [3].

---

[1] (فتح القدير)

[2] (شرح السنة صـ٤٧)

[3] (عقيدة أهل السنة والجماعة صـ٢٥)

مسألة: هل هناك من ينكر الصراط؟

الجواب: قال الإمام يحيى العمراني رحمه الله تعالى:

فصل: وعند أهل الحديث أن الحسنات والسيئات للموحدين توزن بميزان يوم القيامة، وأن الصراط حق، وأن حوض النبي ﷺ حق.

وأنكرت المعتزلة والقدرية وأهل الزيغ ذلك كله. اهـ[1]

❊❊❊

[1] الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٣/ ٧٢٠)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والنَّـارُ يَصْلاَهـا الشقيُّ بحكمة وكـذا التقيُّ إلـى الجِنان سَيَدْخُلُ

الشَّرْحُ:

بعد أن ذكر رحمه ما يحصل في يوم القيامة من الميزان والصراط وغيرها ذكر المآل وهو إما إلى جنة وإما إلى نار.

وقد حذرنا الله في القرآن كثيرا من النار وأسباب دخولها وكذلك نبينا محمد ﷺ حذر منها وأنذر.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الباب الأول في ذكر الإنذار بالنار والتحذير منها:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التَّحْرِيم: ٦]

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَـٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البَقَرَة: ٢٤]

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَـٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عِمْرَان: ١٣١]

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [اللَّيْل: ١٤]

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزُّمَر: ١٦]

وقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المُدَّثِّر: ٣١ -٣٧]

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿نَذِيرا لِلْبَشَرِ﴾ قال: والله ما أنذر العباد بشيء قط أدهى منها، خرجه ابن أبي حاتم.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ يعني النار، وروى سماك بن حرب، قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، حتى وقعت خميصة كانت عَلَى عاتقة عند رجليه. أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية له أيضًا: عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ «أندرتكم النار، أنذرتكم النار حتى لو كان رجل في أقصى السوق لسمعه، وسمع أهل السوق صوته وهو عَلَى المنبر».

وفي رواية له: عن سماك قال: سمعت النعمان يخطب وعليه خميصة، فَقَالَ: لقد سمعت رسول الله ﷺ : يقول: «أنذرتكم النار، أنذرتكم النار فلو أن رجلا بموضع كذا وكذا سمع صوته».

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ «اتقوا النار» قال: وأشاح، ثم قال: «اتقوا النار» ثم أعرض وأشاح ثلاثا، حتى ظننا أنَّه ينظر إليها ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة». متفق عليه.

وفي الصحيحين: عن أبي هريرة عن النبي ن قال: «إِنَّمَا مثلي ومثل أمتي، كمثل رجل استوقد نارا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها».

وفي رواية لمسلم: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاش وَهَذِهِ الدَّوَاب الَّتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمنَ فِيهَا قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ، هَلُمَّ عَنْ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي وَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا». وذكر بقية الحديث.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لما نزلتْ هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسولُ اللّه ﷺ قريشا فاجتمَعُوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعبِ بنِ لؤيٍ أنقذوا أنفسكم من النارِ يا بني مُرَةَ بنِ كعبٍ، أنقذُوا

أنفسَكُم من النارِ، يا بني عبدَ شمسٍ أنقذُوا أنفسَكم من النارِ، يا بني عبدِ مناف، أنقذُوا أنفسكم من النارِ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النارِ، يا فاطمةُ بنتُ محمد، أنقدي نفسك من النارِ، فإني لا أملك لكم من الله شيئا».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الباب الثاني في ذكر الخوف من النار وأحوال الخائفين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٩٠ - ١٩٢]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عِمْرَان:]

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفُرقَان: ٦٣ - ٦٦]

وقال تعالى: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٥٧]

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المَعَارِج: ٢٧ - ٢٨]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبرَاهِيم: ١٤ - ١٥]

وقال تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطُّور: ٢٥ - ٢٧]

قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأن أهل الجنة قالوا ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فَاطِر: ٣٤]

وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾

وقد كان النبي ﷺ كثيرا يستعيذ من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها، والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كان أكثر دعاء النبي ﷺ «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَة وَقِنَا عَذَابَ النَّار» أخرجه البخاري.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فصل في القدر الواجب من الخوف:

والقدر الواجب من الخوف، ما حمل عَلَى أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد عَلَى ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس عَلَى التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلا محمودًا، فإن تزايد عَلَى ذلك بأن أورث مرضـًا أو موتا أو همًا لازما بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله لم يكن ذلك محمودا، ولهذا كان السَّلف يخافون عَلَى عطاء السلمي من شدة خوفه الَّذِي أنساه القرآن، وصيره صاحب فراش، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، إِنَّمَا هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله عَلَى عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدها سبحانه من جملة آلائه عَلَى الثقلين في سورة الرحمن.

وقال سفيان بن عيينة: خلقت النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا. أخرجه أبو نعيم.

والمقصود الأصلي هو طاعة الله عز وجل وفعل مراضيه ومحبوباته وترك مناهيه ومكروهاته.

ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضا، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عونا عَلَى التقرب إِلَى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعا من ذلك وقاطعا عنه فقد انعكس المقصود منه.

ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة، كان صاحبه معذورا، وقد كان من السَّلف من حصل له من خوف النار أحوال شتى، لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء، وربما اضطرب أو غشي عليه إذا سمع ذكر النار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل من الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم:

قال: أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس، إذا أوى إِلَى فراشه، كأنه حبة عَلَى مقلى، فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام، فيقوم إِلَى مصلاه.

وقال: أبو سليمان الداراني: كان طاووس يفترش فراشه، ثم يضطجع عليه، فيتقلى عليه كما تتقلى الحبة عَلَى المقلى، ثم يثب، فيدرجه، ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين.

وقال: مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبت، مالك لا تنام والناس ينامون؟ فَقَالَ: إن النار لا تدع أباك ينام.

وكان صفوان بن محرز إذا جنه الليل يخور كما يخور الثور، ويقول: منع خوف النار مني الرقاد.

وكان عامر بن عبد الله يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها، فكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتى يمسي.

ورُوي عنه أَنَّه قِيلَ لَهُ: مالك لا تنام؟ قال: إن ذكر جهنم لا يدعني أنام.

وقال: الحر بن حصين الفزاري: رأيت شيخا من بني فزارة أمر له خالد بن عبد الله بمائة ألف، فأبى أن يقبلها.

وقال: أذهب ذكر جهنم حلاوة الدُّنْيَا من قلبي، قال: وكان يقوم إذا نام الناس، فيصيح النار النار النار.

وكان رجل من الموالي، يقال له صهيب، وكان يسهر الليل ويبكي، فعوتب عَلَى ذلك، وقالت له مولاته: أفسدت عَلَى نفسك، فَقَالَ: إن صهيب ا إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طال خوفه.

وعن ابن مهدي قَالَ: ما كان سفيان الثوري ينام إلاَّ أول الليل، ثم ينتفض فزعا مرعوبا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ، ويقول عَلَى إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلاَّ فكاك رقبتي من النار.

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

إذا ما الليل أظلم كَابَدُوهُ فيُسفرُ عنهم وهم ركوعُ
أطارَ الخوف نومهُمُ فقاموا وأهل الأمن في الدُّنْيَا

وقال ابن المبارك أيضـًا:

وَمَا فَرْشُهُمْ إِلَّا أَيَامِنُ أُزْرِهِمْ وَمَا وُسْدُهُمْ إِلَّا مَلَاء وَأَذْرُع
وَمَا لَيْلُهُمْ فيهن إِلَّا تخوف وَمَا نَوْمُهُمْ إِلَّا عُشَاش
وَأَلْوَانُهُمْ صُفْر كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ عَلَيْهَا جِسَاد عُلْيَ بِالْوَرْسِ مُشْبَعُ
نَوَاحِلُ قَدْ أَزْرَى بِهَا الْجُهْدُ إِلَى الله فِي الظَّلْمَاءِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ
وَيَبكُونُ أحيانًا كأن عَجِيجَهُمْ إذا نَوَّمَ الناس الحَنِينُ المُرَجَّعُ

وَمَجْلِسُ ذِكْرٍ فِيهِمْ قَدْ شَهِدْتُهُ وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ رهبة الله تَدْمَعُ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل ومنهم من منعه خوف النار من الضحك:

قَالَ إسماعيل السدي: قَالَ الحجاج لسعيد بن جبير: بلغني أنك لم تضحك قط، قَالَ: كيف أضحك وجهنم قد سعرت، والأغلال قد نصبت، والزبانية قد أعدت.

وقال عثمان بن عبد الحميد: وقع في جيران غزوان، حريق، فذهب يطفئه، فوقع شرارة عَلَى أصبع من أصابعه، فَقَالَ: ألا أراني قد أوجعتني نار الدُّنْيَا، والله لا يراني ضاحكا حتى أعرف أينجيني من نار جهنم أم لا.

وقد كان جماعة من السَّلف عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبدا حتى يعلموا أين مصيرهم، إِلَى الجنة أم إِلَى النار، منهم حممة الدوسي، والربيع بن خراش، وأخوه ربعي، وأسلم العجلي، ووهيب بن الورد، وغيرهم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل ومنهم من حديث له من خوفه من النار مرض، ومنهم من مات من ذلك:

وكان الحسن يقول في وصف الخائفين: قد براهم الخوف، فهم أمثال الفراخ ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بهم مرض، ويقول: قد خولطوا، وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم.

وسمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رجلا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إِلَى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إِلَى منزله، فمرض شهرا يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه.

وكان جماعة من عباد البصرة مرضوا من الخوف، ولزموا منازلهم، كالعلاء ابن زياد، وعطاء السلمي، وكان عطاء قد صار صاحب فراش عدة سنين. وكانوا يرون أن بدو مرض عمر بن عبد العزيز الَّذِي مات فيه كان من الخوف. اهـ[1]

والنار للنجاة منها أسباب وهي كثيرة في الكتاب والسنة فاحرص على سلوكها لتنجو من النار وللنجاة منها اسباب فاحرص على الأخذ بها والعمل بها عل الله أن ينجيك منها والعياذ بالله.

مسألة: هل النار موجودة الآن؟

قال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابا أَلِيما﴾:

---

[1] بتصرف يسير من كتاب (التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار صـ٩٨-١٢٧) لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: أن النَّار مَوْجودة الآن، لقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ﴾ بلَفْظ الماضي، والإعداد بمَعنَى: التَّهيئة، والنُّصوص في وجود النار ووجود الجنَّة الآنَ من القُرآن والسُّنَّة كثيرة، فهما الآنَ مَوْجودتان، وهما لا تَفنَيان على مُعتَقَد أهل السُّنَّة، وإن كان ذُكِر خِلاف عن السلَف في أبديَّة النار: هل هي مُؤَبَّدة أم لا؟ والصحيحُ أنَّها مُؤبَّدة لا شكَّ.

والدليلُ على ذلك قوله تعالى يُخاطِب الذين آمَنوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٠ - ١٣١] فحَذَّر المُؤمِنين من النار التي أُعدَّتْ للكافِرين، والصواب بلا شك أن النار مُؤَبَّدة، وفي ذلك ثلاثُ آيات من كِتاب الله تعالى: آية في النِساء، وآية في الأحزاب، وآية في الجن.

فأمَّا آية النساء فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [النِّسَاء: ١٦٨ - ١٦٩]

وأمَّا في الأحزاب ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [الأَحْزَاب: ٦٤ - ٦٥]

وأمَّا في سورة الجِن ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ [الجِن: ٢٣]

وإذا كان هَؤلاء خَالِدين أبَدا فإنَّه يَلزَم من تَأبيد الخالِد تَأبيدُ المكان الذي هو فيه، حتَّى في الجَنَّة أيضا، فمَعناه: أن هذا كائِن بمَشيئة الله تعالى. اهـ[1]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان. اهـ[2]

وقال العلامة صديق حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْلَم أَنه لم يزل أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وَأهل السنة والْحَدِيث قاطبة وفقهاء الاسلام وَأهل التصوف والزهد على اعْتِقَاد ذَلِك وإثباته مستندين في ذَلِك إِلَى نُصُوص الْكتاب الْعَزِيز وَالسنة المطهرة وَمَا علم بِالضَّرُورَةِ من أَخْبَار الرُّسُل كلهم من أَوَّلهمْ إِلَى آخِرهم كَمَا تقدم في الْمُقدمَة فانهم دعوا الْأُمَم إِلَيْهَا وأخبروا بهَا إِلَى أَن نبغت نَابِغَة من أهل الْبدع والأهواء فأنكرت أَن تكون الْآن مخلوقة مَوْجُودَة وَقَالَت بل الله ينشئها يَوْم الْمعَاد وَأَن خلق النَّار قبل الْجَزَاء عَبث فإنها تصير معطلة مدَدا متطاولة لَيْسَ فِيهَا سكانها فَردُّوا من النُّصُوص الْأُصُول وَالْفُرُوع وضللوا كل من خَالف بدعتهم هَذِه بِمَا لَا يسمن وَلَا يغنى من جوع وَلِهَذَا صَار السلف الصَّالح

---

[1] تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب صـ٧٨-٨٨)

[2] (رسالة الشيخ الى اهل القصيم مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٦/ ١٠)

وَمن نحا نحوهم تذكرُونَ فِي عقائدهم أَن الْجنَّة وَالنَّار مخلوقتان الْآن موجودتان فِي الْحَال وَيذكر من صنف فِي المقالات أَن هَذِه مقَالَة أهل السنة والْحَدِيث كَافَّة لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهَا مِنْهُم أَبُو الْحسن الأشعري إِمَام الاشاعرة فِي كِتَابه مقالات الإسلاميين وَاخْتِلَاف المضلين وَقد ذكر الله تَعَالَى النَّار فِي كِتَابه فِي مَوَاضِع كَثِيرَة يتعسر حَدهَا ويفوت عدهَا ووصفها وَأخْبر بهَا على لِسَان نبيه ﷺ ونعتها فَقَالَ: عز من قَالَ فَاتَّقُوا النَّار الَّتِي وقودها النَّاس وَالْحِجَارَة أعدت للْكَافِرِينَ وقال: وَاتَّقوا النَّار الَّتِي أعدت للْكَافِرِينَ وقال: إِنَّا أَعْتَدْنَا للظالمين نَارا أَحَاط بهم سرادقها وقال: إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّم للْكَافِرِينَ نزلا وقال: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وَقَالَ تَعَالَى أغرقوا فأدخلوا نَارا.[1]

قال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى: ونؤمن بالجنة والنار، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجْدَة : ١٧]

والنار دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

[1] (يقظة أولي الإعتبار ١/ ٣٧)

وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

وهما موجودتان الآن ولن تفنيا أبد الآبدين: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ [الطلاق: ١١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٦] [1].

مسألة: هل هناك من قال بفناء الجنة والنار؟

الجواب: قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ إِمَامُ الْمُعَطلَةِ، وَلَيْسَ لَهُ سَلَف قَطُّ لَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَلَا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا مِنْ أَهْلِ

[1] (عقيدة أهل السنة والجماعة صـ٢٥-٢٦)

السُّنَّةِ. وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ عَامَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَفَّرُوهُ بِهِ، وَصَاحُوا بِهِ وَبِأَتْبَاعِهِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ. اهـ[1]

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت: لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار، وخروج الموحدين منها، وقد كنت خرجت بعض ذلك في (الضعيفة) برقم (٦٠٦-٧٠٧). ثم وقفت على رسالة مخطوطة في مكتبة المكتب الإسلامي للعلامة الأمير الصنعاني في هذه المسألة الخطيرة رد فيها على ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فعلقت عليها وخرجت أحاديثها وقدمت لها بمقدمة ضافية، وقد طبعت بعناية المكتب الإسلامي. اهـ[2]

وهنا بحث جميل لمحدث العصر محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى كتبه في مقدمة تحقيقه لكتاب (رفع الأستار لأبطال أدلة القائلين بفناء النار) للإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

[1] (شرح العقيدة الطحاوية صـ٤٢٤)

[2] (حاشيته على العقيدة الطحاوية صـ٤٢٤)

وسئل-يعني ابن تيمية- عن حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: (سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء: النار وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش فهل هذا الحديث صحيح أم لا؟

فأجاب: هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء. وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرض وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين...)

قلت: والظن بمن هو دون ابن تيمية علما ودينا ألا يخالف سلف الأمة وأئمتها ولم لا وهو حامل راية الدعوة إلى أتباعهم والسير على منهجهم والتحذير من مخالفتهم والخروج عن سبيلهم كما لا يخفى ذلك على كل من اطلع على شيء من كتبه وتغذى بطرف من علمه لا سيما والنص في معنى ما ذكره محفوظ عن الإمام أحمد إمام السنة فقد ذكر في آخر كتابه (الرد على الزنادقة) وقد حكى عن الجهمية قولهم بفناء الجنة والنار فرده عليهم بشطريه وذكر آيات كثيرة في بقاء الجنة ودوامها. ثم قال في رد قولهم بفناء النار:

وذكر الله تعالى أهل النار فقال:

١. ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾

٢. ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾

٣. ﴿ولا ينالهم الله برحمته﴾

٤. ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾

٥. ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾

٦. ﴿خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾

٧. ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾

٨. ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾

٩. ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾

هذا كله مما احتج به الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على القائلين بفناء النار وعدم دوامه وقد نقل عنه شارح قصيدة الإمام ابن القيم: (الكافية الشافية) (١/ ٩٧) أنه قال: والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع.

ونحوه قول ابن حزم في (الملل والنحل ٤-٨٣).

اتفقت فرق الأمة كلها على: أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها إلا جهم بن صفوان.

وفي العقيدة الطحاوية صـ٤٢٠- بشرحها طبع المكتب الإسلامي.

(والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان)

ثم رأيت ابن حزم قد أورد المسألة أيضا في كتابه (مراتب الإجماع) فقال: (صـ١٧٣) وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تفنى ولا يفني أهلها أبدا بلا نهاية.

وأقره شيخ الإسلام أحمد بن تيمية خلافا لغيرها من المسائل التي تعقبه فيها.

ومن العجيب أن هذا القول بعدم فنائها هو مما ذهب إليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما يدل عليه ظاهر كلامه في كتابه (الروح صـ ٣٤ طبعة صبيح) بل ذلك ما صرح به في بعضه كتبه:

١. قال في الكافية الشافية:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي: العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

٢. وأصرح منه ما كنت نقلته عنه في سلسلة الأحاديث الضعيفة في كتابه (الوابل الصيب صـ ٢٦) قال ما نصه:

وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء

لتراكب بعضه على بعضه ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث. ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث. وخبيث لا طيب فيه. وآخرون فيهم خبث وطيب. كانت دورهم ثلاثة:

١. دار الطيب المحض.

٢. ودار الخبث المحض.

٣. وهاتان الداران لا تفنيان.

ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض

٣. تصريحه في مقدمة كتابه العظيم: (زاد المعاد في هدى خير العباد) بأن المشرك لا تطهره النار ولو أخرج منها عاد خبيثا كما كان وقد حرم الله عليه الجنة. اهـ[1].

[1] (مقدمة تحقيق رفع الاستار لأبطال أدلة القائلين بفناء النار صـ ١٥-١٨)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَصْلاَها الشقيُّ بحكمةٍ)

الشَّرْحُ:

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هُود: ١٠٥ - ١٠٦]

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المُؤْمِنُون: ١٠٦]

وقال تعالى: ﴿يَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأَعْلَى: ١١ - ١٢]

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [اللَّيْل: ١٤ - ١٥]

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: ولما أهبط آدم وزوجته وأسكنهما في الأرض، أخذ عليهما أن من أطاعه من ذريتهما واتبع رسله كان من السعداء، ومن أعرضِ عن ذلك كان من الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٨ - ٣٩]

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٤] [1]

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذا التقيُّ إلىٰ الجِنان سَيَدْخُلُ)**

الشَّرْحُ:

التقوى من أجل العبادات وأعظم القربات وقد كثرت تعاريف السلف للتقوى بعبارات مختلفة الألفاظ مجتمعة المعنى.

ومن أحسن تلك التعاريف وأجمعها ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة قال حدثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن عاصم قال: قلنا لطلق بن حبيب: صف لنا التقوى، قال: التقوى عمل بطاعة الله، رجاء رحمة الله، على نور من الله، والتقوى ترك معصية الله مخافة اللّه على نور من الله.[2]

وقد أمر الله بالتقوى في مواضع كثيرة من كتابه فمن ذلك:

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البَقَرَة : ٢]

---

[1] (الاستخراج لأحكام الخراج صـ ٥-٦)

[2] رواه بن أبي شيبة (٣٢٣٧٠)

- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البَقَرَة: ٤٨]
- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البَقَرَة: ١٢٣]
- ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]
- ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]
- ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣]
- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البَقَرَة: ٢٨١]

- ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

- ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٧٦]

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٢]

- ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٣٣ - ١٣٥]

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المَائِدَة : ٢]

- ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المَائِدَة : ٧ - ٨]
- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأَعْرَاف : ٣٥]
- ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأَعْرَاف : ٩٦]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأَنفَال : ٢٩]
- ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ [التَّوْبَة : ٧]
- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يُونُس : ٦٢ - ٦٤]
- ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرَّعْد : ٣٥]

- ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النَّحل : ٣٠ - ٣٢]
- ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّ ٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النَّحل : ١٢٧ - ١٢٨]
- ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحَج : ٣٢]
- ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزُّمَر : ١٠]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧﴾ [الدُّخَان : ٥١ - ٥٧]
- ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجَاثِيَة : ١٩]
- ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ [مُحَمَّد : ٣٦]

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرَات : ١٣]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذَّارِيَات : ١٥ - ١٩]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القَمَر : ٥٤ - ٥٥]
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩﴾ [المُجَادلَة : ٩]
- ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ [التَّغَابُن : ١٦]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾ [المُرۡسَلَات : ٤١ - ٤٤]
- ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾ [النَّبَإ : ٣١ - ٣٦]

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تحث على التقوى وتأمر به نذكر بعضا منها:

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ثلاثة نفر إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهم: لا أتزوج النساء، وقال الآخر: لا أفطر، وقال الثالث: لا أنام، فقال رسول الله ﷺ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني.[1]

واوصانا رسولنا الكريم ﷺ بالتقوى لاسيما بعد موته لكثرة ما يحصل من الفتن والاختلاف وما يحصل من المعاصي والمنكرات.

- وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنه من يعيش منكم؛ فسيرى اختلافا كثيرا.[2]
- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: عليكم بتقوى الله، والصبر عند البأس، وإذا لقيتم العدو، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا.[3]

وبين لنا رسولنا الكريم ﷺ أن الناس ينقسمون إلى قسمين إما تقي وإما شقي وأن العبرة بالتقوى.

---

[1] رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

[2] رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦)

[3] رواه أحمد (٣/ ٣٥١)

- و عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، يا أيها الناس، إنما الناس رجلان: برٌ تقي كريم على ربه، وفاجر شقي هين على ربه، ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرَات: ١٣] ثم قال: أقول هذا، وأستغفر الله لي ولكم.[1]

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمن تقي، وفاجر شقي.[2]

واعلم يا أخي المسلم أنه لا يقاوم فتنة الدنيا وزينتها وزخارفها ولا يصرف عنك فتنة النساء والنظر إلى ما حرم إلا التقوى ولذلك حثنا وامرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بذلك.

- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.[3]

---

[1] رواه بن حبان (٣٩٠١) والحديث في الصحيح المسند (٧٧٠) للإمام الوادعي، رحمه الله

[2] رواه أبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٦)

[3] رواه مسلم (٦٩٤٨)

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلِكُـلِّ حَيٍّ عَاقِـلٍ فِي قَبْـرِهِ عَمَـلٌ يقـارنُه هُنَـاكَ ويُسْـأَلُ

الشَّرْحُ:

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ الْبَرْزَخِ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحِق لِلْعَذَابِ نَالَهُ نَصِيبُهُ مِنْهُ، (قُبِرَ أَوْ لَمْ يُقْبَرْ) أَكَلَتْهُ السبَاعُ أَوِ احْتَرَقَ حَتَّى صَارَ رَمَادا وَنُسِفَ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ صُلِبَ أَوْ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ، وَصَلَ إِلَى رُوحِهِ وَبَدَنِهِ مِنَ الْعَذَابِ مَا يَصِلُ إِلَى الْمَقْبُورِ، وَمَا وَرَدَ مِنْ إِجْلَاسِهِ وَاخْتِلَافِ أَضْلَاعِهِ وَنَحْوِ ذَ لكَ، فَيَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مُرَادُهُ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍ وَلَا تَقْصِيرٍ، فَلَا يُحَمَّلُ كَلَامُهُ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ، وَلَا يُقَصَّرُ بِهِ عَنْ مُرَادِهِ وَمَا قَصَدَهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، فَكَمْ حَصَلَ بِإِهْمَالِ ذَلِكَ وَالْعُدُولِ عَنْهُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْعُدُولِ عَنِ ا لصَّوَابِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله، بَلْ سُوءُ الْفَهْمِ عَنِ الله وَرَسُولِهِ أَصْلُ كُل بِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ نَشَأَتَ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَصْلُ كُل خَطَأٍ فِي الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَصْدِ، وَالله الْمُسْتَعَانُ.[1]

---

[1] (شرح الطحاوية صـ٤٠٠)

ومن ادلة إثبات عذاب القبر:

قال الله عز وجل عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غَافِر: ٤٦]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْل كَبِير فِي اسْتِدْلَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ الْبَرْزَخِ فِي الْقُبُورِ، وَهِيَ قَوْلُه ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [1]

وقال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٧]

جاء من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يُثَبتُ اللّه الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ قالَ: نزلَت في عذابِ القبرِ، يُقالُ لَهُ: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ: ربيَ الله، ونبيي محمَّد، فذلِكَ قَولُهُ: يُثبت الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [2]

---

[1] (تفسير ابن كثير عند الآية)

[2] رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)

وقد قال الله سبحانه عن الظالمين: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام : ٩٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المُرَاد بِهِ عَذَاب البرزخ الَّذِي أَوله يَوْم الْقَبْض وَالْمَوْت وَنَظِيره قَوْله تَعَالَى وَلَو ترى إِذْ يتوفى الَّذين كفرُوا الْمَلَائِكَة يضْربُونَ وُجُوههم وأدبارهم وذوقوا عَذَاب الْحَرِيق فَهَذِهِ الاذاقة هِيَ فِي البرزخ. اهـ[1]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه : ١٢٤]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِن لَهُ معيشة ضنكا فَسرهَا غير وَاحِد من السلف بِعَذَاب الْقَبْر وَجعلُوا هَذِه الآية أُحْدُ الأدلة الدَّالَّة على عَذَاب الْقَبْر.[2]

وهناك أدلة كثيرة في القرآن تثبت وتبين عذاب القبر وحياة البرزخ ونكتفي بما ذكرنا خشية الإطالة ونذكر بعض ما ثبت في السنة:

---

[1] (مفتاح دار السعادة ١/ ٤٣)

[2] (مفتاح دار السعادة ١/ ٤٣)

١. جاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النَّبِي ﷺ يومَ الخَنْدَقِ، فَقَالَ: مَلأ الله قُبُورَهُمْ وبُيُوتَهُمْ نَارا، كما شَغلُونَا عن صَلَاةِ الوُسْطَى حتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ. وهي صَلَاةُ العَصْرِ.[١]

٢. وعن أبي أيوب الانصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسولُ اللهِ ﷺ بعدما غربَت الشمسُ فسمعَ صوتا فقال يهودُ تعذَّبُ في قبورِها.[٢]

٣. وعن زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أَقْبُر ستة أو خمسة أو أربعة. فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا. قال: "فمتى مات هؤلاء"؟ قال: ماتوا في الإشراك. فقال: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تَدَافَنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه". ثم أقبل علينا بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب النار". قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: "تعوذوا بالله من عذاب القبر". قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال:"تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن". قالوا: نعوذ بالله

---

[١] رواه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (١٠٤٢)

[٢] رواه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩) واللفظ له.

من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. قال: "تعوذوا بالله من فتنة الدجال". قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.[1]

٤. وجاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العَجْزِ، والكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات.[2]

٥. وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.[3]

٦. وجاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رسول ﷺ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ فيقولان: ما كنت تقول في الرَّجُلِ، لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا.

---

[1] رواه مسلم (٤٨٢٨)

[2] رواه البخاري (٦٣٧٦)، ومسلم (٢٧٠٦)

[3] رواه مسلم (٥٨٨)

قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يفسح فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ، قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ والْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، ف يُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حديث ضَرْبَة، فَيَصِيحُ صَيْحَة، يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثقلين.[1]

٧. وجاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ. وَمَا يعَذَّبَان فِي كَبِيرٍ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ قَالَ فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ. ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدا. ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّهُ أنْ يخفف عنهما. ما لم ييبسا [2]

٨. وجاء عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّة دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ الله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ حق. قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا رَأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ بعد صَلَّى صَلَاة إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.[3]

---

[1] رواه البخاري (١٣٠٨)، ومسلم (٢٨٧٠)

[2] رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٢٩٣)

[3] رواه البخاري (١٣٠٦)، ومسلم (٩٠٣)

قال ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد في هذا الحديث دليل على أن عذاب القبر تعرفه اليهود وذلك والله أعلم في التوراه لأن مثل هذا لا يدرك للرأي. [١]

قال شيخنا يحيى حفظه الله ومن العجيب أن اليهود تعرفه والرافضة تنكره مع أن الرافضة قد شابهت اليهود في أكثر من أربعين مسألة ذكرها شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية ونقلناها عنه في كتابنا الحجج القاطعة على أن الروافض ضد الإسلام على مر التاريخ بلا مدافعة. اهـ[٢]

وقال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله: أجمع أهل العلم على إثبات عذاب القبر كما دلت على ذلك أدلة القران والسنة. [٣]

قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "رسالته الى أهل الثغر"[٤] وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته.

---

[١] (التمهيد ٢٣/ ٣٩١)

[٢] (الرد المختصر على منكري عذاب القبر صـ١٥)

[٣] (الرد المختصر على منكري عذاب القبر صـ١٥)

[٤] (صـ١٥٩)

وقال في الإبانة[1]: وجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين.

وقال: وأنكرت المعتزلة عذاب القبر أعاذنا الله منهم.

وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيره وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده فوجب أن يكون إجماع من أصحاب النبي ﷺ .

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أبو بكر بن مجاهد أجمع أهل السنة أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها ويسألون فيها ويثبت الله من أحب تثبيته.[2]

وقال ابن القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأجمعوا أن عذاب القبر حق وعلى أن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها وأجمع اهل الإسلام أهل السنة على أن عذاب القبر حق وعلى أن منكر ونكير ملكي القبر حق.[3]

---

[1] (صـ١٥)

[2] (شرح البخاري ٣ صـ٣٥٨)

[3] (الإقناع ١ صـ ٥٠)

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصحاب الحديث كلهم مجمعون على الإيمان بعذاب القبر. اهـ[1]

وقال الحافظ بن ابي حاتم الرازي رحمه الله تعالى: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدرك عليه علماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك فقال أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمانا فكان من مذهبهم وعذاب القبر حق ومنكر ونكير حق.[2]

وقال الامام ابن زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر قال الله عز وجل فإن له معيشة ضنكا وقال سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم.[3]

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -عن عذاب القبر-: وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة.[4]

---

[1] (تأويل مختلف الحديث صـ١٦)

[2] (عقيده الرازيين صـ١٢١)

[3] (اصول السنة صـ١٥٤)

[4] (الروح صـ٥٧)

وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عذاب القبر اكتفى أي البخاري بإثبات وجوده خلافا لمن نفاه مطلقا من الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة.[1]

مسألة: هل هناك فرق بين عذاب القبر وفتنة القبر؟

نعم، فالعذاب أن يعذب الإنسان ويضرب، ويفتح له باب من النار، والفتنة: الاختبار والامتحان، فيأتي نكير ومنكر يبتليانه ويختبرانه بالسؤال: من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟ ثم تأتي العقوبة بعد ذلك، فيفتن بالسؤال ثم يعذب، فالعذاب شيء والفتنة شيء.

والعذاب نتيجة الفتنة فبعد أن يفتتن يعذب، والفتنة هي الاختبار، فقد يكون مؤمنا وقد يكون كافرا، فالمؤمن يفتن فينجو ويسلمه الله ويجيب، والكافر يفتتن فيهلك، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم : ٢٧] نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت.[2]

---

[1] (الفتح ٣/ ٢٣٣)

[2] (شرح كتاب السنة للبربهاري ٥-٨ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي)

مسألة: حكم من أنكر عذاب القبر؟

قال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله في رسالته (الرد المختصر): حكم من أنكر عذاب القبر وقال أبو حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر صـ١٣٧ من قال لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالى سنعذبهم مرتين يعني عذاب القبر وقوله تعالى وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك يعني في القبر فإن قال أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها قال هو كافر لأن من القران ما هو تنزيله تعويله فإن جحد بها فقد كفر.

وقال ابن العطار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العدة المجلد الأول صفحه ١٤٠ عند مروره بالقبرين إنهما ليعذبان دليل على إثبات عذاب القبر وهو مذهب أهل السنة وهو مما يجب اعتقاده حقيقته وهو مما نقلته الأمة متواترا فمن أنكر عذاب القبر أو نعيمه فهو كافر لأنه كذب الله ورسوله في خبرهما.

وقال ابن الملقن في الإعلام المجلد الاول صفحه ٥١٦ فمن أنكر عذاب القبر أو نعيمه فهو كافر لأنه كذب الله ورسوله في خبرهما.

وقال في شرح البخاري المجلد الثامن٣٣٧ وفي الحديث أن عذاب القبر حق وأهل السنة مجمعنا الإيمان به والتصديق ولا ينكره إلا مبتدع.

وقال أبو بكر المروزي رحمه الله في طبقات الحنابلة (١/ ٦٢): قال لنا أبو عبد الله عذاب القبر حق ما ينكره إلا ضال مضل.

وقال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى كما في فتاوى نور على الدرب المجلد الرابع ٣١٤: عذاب القبر حق فقد تواترت به النصوص عن النبي ﷺ وأجمع عليه المسلمون ودل عليه القران الكريم في قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا هذا معناه في البرزخ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا هذا في البرزخ نسأل الله العافية فالمقصود أن من أنكر عذاب القبر يستتاب وأن تاب وإلا قتل كافرا نسأل الله العافية.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في فتاوى ودروس المسجد الحرام لقاء ١٣٩: ومن أنكر عذاب القبر بعد أن علم أنه ثابت بالكتاب والسنة فهو مكذب الله ورسوله والمكذب لله ورسوله كافر.

***

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَـذا اعتقَـادُ الشافعيِّ ومالِـكٍ وأَبـي حَنيفـةَ ثُـم أحمدَ يُنْقَـلُ

الشَّرْحُ:

يعني أن ما ذكره في هذه المنظومة من مسائل العقيدة هو اعتقاد هؤلاء الأئمة رحمهم الله وهكذا هم أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان لا يأخذون معتقداتهم إلا من أئمة السنة وهم السلف الصالح رضي الله عنهم ورحمهم من لدن صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين وهم أصحاب القرون المفضلة التي أثنى عليهم رسول الله ﷺ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكن من رحمة الله بعباده أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق كالأئمة الأربعة وغيرهم كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب، وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان» [1]

[1] (كتاب الإيمان صـ ٣٥٠-٣٥١ دار الطباعة المحمدية، تعليق محمد الهراس)

وقال: «إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ويقولون: إن الله يرى في الآخرة، هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم وهذا مذهب الأئمة المتبوعين مثل مالك بن أنس والثوري والليث بن سعد، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد...» [1]

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن اعتقاد الشافعي فأجاب بقوله: «اعتقاد الشافعي واعتقاد سلف الأمة كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه هو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين.

وكذلك أبو حنيفة رحمه الله تعالى فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسُّنَّة»[2].

---

[1] (منهاج السنة ٢/ ١٠٦)

[2] (مجموع الفتاوى ٥/ ٢٥٦)

ترجمة مختصرة لأبي حنيفية رحمه الله تعالىٰ:

قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء أَبُو حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتِ التَّيْمِيُّ الإِمَامُ، فَقِيْهُ المِلَّةِ، عَالِمُ العِرَاقِ، أَبُو حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتِ بنِ زُوْطَى التَّيْمِيُّ، الكُوْفِيُّ، مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ.

يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الفُرسِ.

وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ، فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ.

وَرَأَى: أَنَسَ بنَ مَالِكٍ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الكُوْفَةَ، وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ حَر ف عَنْ أَحَدٍ مِنْهُم.

وَعُنِيَ بِطَلَبِ الآثَارِ، وَارْتَحَلَ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا الفِقْهُ وَالتَّدْقِيْقُ فِي الرَّأْيِ وَغوَامِضِهِ، فَإِلَيْهِ المُنْتَهَى، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ عِيَال فِي ذَلِكَ.

حَدَّثَ عَنْهُ: خَلْق كَثِيْر.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ العَوْفِيُّ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ ثِقَة، لاَ يُحَدثُ بِالحَدِيْثِ إِلاَّ بِمَا يَحْفَظُه، وَلاَ يُحَدثُ بِمَا لاَ يَحْفَظُ.

وَقَالَ صَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ ثِقَة فِي الحَدِيْثِ.

وَرَوَى: أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ القَاسِمِ بن مُحْرِزٍ، عَنِ ابْنِ مَعِيْنٍ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ لاَ بَأْسَ بِهِ.

وَقَالَ مَرَّة: هُوَ عِنْدَنَا مِنْ أَهْلِ الصدْقِ، وَلَمْ يُتَّهَمْ بِالكَذِبِ، وَلَقَدْ ضَرَبَه ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى القَضَاءِ، فَأَبَى أَنْ يَكُوْنَ قَاضِيا.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ العِجْلِيُّ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: قَدِمْتُ البَصْرَةَ، فَظَنَنْتُ أَني لاَ أُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَجبتُ فِيْهِ، فَسَأَلَونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي فِيْهَا جَوَاب، فَجَعَلتُ عَلَى نَفْسِي أَلاَّ أُفَارِقَ حَمَّادًا حَتَّى يَمُوْتَ، فَصَحِبتُه ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَة.

قِيْلَ لِمَالِكٍ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيْفَةَ؟

قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْتُ رَجُلا لَوْ كلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَهَا ذَهَبا، لَقَامَ بِحُجَّتِه.

وَعَنْ أَسَدِ بنِ عَمْرٍو: أَنَّ أَبَا حَنِيْفَةَ صَلَّى العِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِوُضُوْءِ أَرْبَعِيْنَ سَنَة.

وَرَوَى: بِشْرُ بنُ الوَلِيْدِ، عَنِ القَاضِي أَبِي يُوْسُفَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمشِي مَعَ أَبِي حَنِيْفَةَ، إِذْ سَمِعْتُ رَجُلا يَقُوْلُ لآخَرَ: هَذَا أَبُو حَنِيْفَةَ لاَ يَنَامُ اللَّيلَ.

فَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: وَاللهِ لاَ يُتَحَدَّثُ عَني بِمَا لَمْ أَفْعَلْ، فَكَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلاَةَ، وَتَضَرُّعا، وَدُعَاء.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَنَّ أَبَا حَنِيْفَةَ قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ المُغِيْرَةِ: رَأَيْتُ أَبَا حَنِيْفَةَ شَيْخا يُفْتِي النَّاسَ بِمَسْجِدِ الكُوْفَةِ، عَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَة سَوْدَاءُ طَوِيْلَة.

وَعَنِ النَّضْرِ بنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ جَمِيْلَ الوَجْهِ، سَرِيَّ الثَّوْبِ، عَطِرَ الريحِ، أَتَيْتُهُ فِي حَاجَةٍ، وَعَلَيَّ كِسَاء قرمسِيٌ، فَأَمَرَ بِإِسرَاجِ بَغلِه، وَقَالَ: أَعْطِنِي كِسَاءكَ، وَخُذْ كِسَائِي.

فَفَعَلتُ، فَلَمَّا رَجَعَ، قَالَ: يَا نَضْرُ! خَجلْتَنِي بِكِسَائِكَ، هُوَ غَلِيْظ.

قَالَ: وَكُنْتُ أَخَذْتُهُ بِخَمْسَةِ دَنَانِيْرَ، ثُمَّ إِنِي رَأَيْتُه وَعَلَيْهِ كِسَاء قَوَّمْتُهُ ثَلاَثِيْنَ دِيْنَارا.

وَعَنْ أَبِي يُوْسُفَ، قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ رَبْعَة، مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُوْرَة، وَأَبلَغِهِم نُطْق ا، وَأَعذ بِهِم نَغمَة، وَأَبْيَنِهِم عَمَّا فِي نَفْسِهِ.

وَعَنْ حَمَّادِ بنِ أَبِي حَنِيْفَةَ، قَالَ: كَانَ أَبِي جَمِيْلا، تَعلُوْهُ سُمْرَة، حَسَنَ الهَيْئَةِ، كَثِيْرَ التَّعَطُّرِ، هَيُوْبا، لاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ جَوَابا، وَلاَ يَخُوضُ فِيْمَا لاَ يَعْنِيْهِ.

وَعَنِ ابْنِ المُبَارَكِ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلا أَوقَرَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلاَ أَحْسَنَ سَمتا وَحِلما مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

إِبْرَاهِيْمُ بنُ سَعِيْدٍ الجَوْهَرِيُّ: عَنِ المُثَنَّى بنِ رَجَاءٍ، قَالَ: جَعَلَ أَبُو حَنِيْفَةَ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ حَلَفَ بِاللهِ صَادِق ا أَنْ يَتَصَدَّقَ بِدِيْنَارٍ، وَكَانَ إِذَا أَنفَقَ عَلَى عِيَالِهِ نَفَقَة، تَصَدَّقَ بِمِثْلِهَا.

وَرَوَى: جُبَارَةُ بنُ المُغَلِسِ، عَنْ قَيْسِ بنِ الرَّبِيْعِ، قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ وَرِعا، تَقِيًا، مُفْضِلاً عَلَى إِخْوَانِه.

وَعَنْ شَرِيْكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ طَوِيْلَ الصَّمْتِ، كَثِيْرَ العَقْلِ.

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيْلُ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ يُسَمَّى الوَتِدَ؛ لِكَثْرَةِ صَلاَتِه.

وَرَوَى: ابْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عَنِ القَاضِي أَبِي يُوْسُفَ، قَالَ: كَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ يَخْتِمُ القُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَكْعَةٍ.

يَحْيَى بنُ عَبْدِ الحَمِيْدِ الحِمَّانِيُّ: عَنْ أَبِيْهِ: أَنَّهُ صَحِبَ أَبَا حَنِيْفَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ: فَمَا رَأَيْتُه صَلَّى الغَدَاةَ إِلاَّ بِوُضُوْءِ عِشَاءِ الآخِرَةِ، وَكَانَ يَخْتِمُ كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ السَّحَرِ.

وَعَنْ زَيْدِ بنِ كُمَيْتٍ، سَمِعَ رَجُلا يَقُوْلُ لأَبِي حَنِيْفَةَ: اتَّقِ اللهَ فَانْتَفَضَ، وَاصفرَّ، وَأَطرَقَ، وَقَالَ: جَزَاكَ اللهَ خَيْرا، مَا أَحوَجَ النَّاسَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى مَنْ يَقُوْلُ لَهُ مِثْلَ هَذَا.

وَيُرْوَى: أَنَّ أَبَا حَنِيْفَةَ خَتَمَ القُرْآنَ سَبْعَةَ آلاَفِ مَرَّةٍ.

قَالَ مِسْعَرُ بنُ كِدَامٍ: رَأَيْتُ أَبَا حَنِيْفَةَ قَرَأَ القُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ.

ابْنُ سَمَاعَةَ: عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ، عَنِ القَاسِمِ بنِ مَعْنٍ: أَنَّ أَبَا حَنِيْفَةَ قَامَ لَيْلَة يُرَددُ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ وَيَبْكِي، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى الفَجْرِ.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ: أَنَّ الإِمَامَ أَبَا حَنِيْفَةَ ضُرِبَ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى أَنْ يَلِيَ القَضَاءَ، فَلَمْ يُجِبْ.

قَالَ يَزِيْدُ بنُ هَارُوْنَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدا أَحلَمَ مِنْ أَبِي حَنِيْفَةَ.

سُئِلَ ابْنُ المُبَارَكِ: مَالِك أَفْقَهُ، أَوْ أَبُو حَنِيْفَةَ؟

قَالَ: أَبُو حَنِيْفَةَ.

وَقَالَ الخُرَيْبِيُّ: مَا يَقَعُ فِي أَبِي حَنِيْفَةَ إِلاَّ حَاسِد، أَوْ جَاهِل.

وَقَالَ يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ القَطَّانُ: لاَ نَكذِبُ اللهَ، مَا سَمِعنَا أَحْسَنَ مِنْ رَأْيِ أَبِي حَنِيْفَةَ، وَقَدْ أَخَذنَا بِأَكْثَرِ أَقْوَالِه.

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ عَاصِمٍ: لَوْ وُزِنَ عِلْمُ الإِمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ بِعِلْمِ أَهْلِ زَمَانِهِ، لَرَجَحَ عَلَيْهِم.

وَقَالَ حَفْصُ بنُ غِيَاثٍ: كَلاَمُ أَبِي حَنِيْفَةَ فِي الفِقْهِ، أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، لاَ يَعِيبُه إِلاَّ جَاهِل.

وَرُوِيَ عَنِ الأَعْمَشُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: إِنَّمَا يُحسِنُ هَذَا النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتٍ الخَزَّازُ، وَأَظُنُّه بُورِكَ لَهُ فِي عِلْمِهِ.

وَقَالَ جَرِيْ ر: قَالَ لِي مُغِيْرَةُ: جَالِسْ أَبَا حَنِيْفَةَ، تَفْقَهْ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيْمَ النَّخَعِيَّ لَوْ كَانَ حَيًا، لَجَالَسَه.

وَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: أَبُو حَنِيْفَةَ أَفْقَهُ النَّاسِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الفِقْهِ عِيَا ل عَلَى أَبِي حَنِيْفَةَ.

قُلْتُ أي الذهبي:

الإِمَامَةُ فِي الفِقْهِ وَدَقَائِقِه مُسَلَّمَة إِلَى هَذَا الإِمَامِ، وَهَذَا أَمر لاَ شَكَّ فِيْهِ.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْء إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيْلِ

وَسِيْرَتُه تَحْتَمِلُ أَنْ تُفرَدَ فِي مُجَلَّدَيْنِ رحمه الله تعالى.

تُوُفِيَ: شَهِيْدا، مَسْقِيًا، فِي سَنَةِ خَمْسِيْنَ وَمائَةٍ، وَلَهُ سَبْعُوْنَ سَنَة، وَعَلَيْهِ قُبَّة عَظِيْمَة، ومَشْهَد فَاخِر بِبَغْدَادَ وَاللهُ أَعْلَمُ.[1]

أشهر مؤلفات ابي حنيفة:

١. الفقه الأبسط (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس) المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان (تـ١٥٠هـ) الناشر: مكتبة الفرقان الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩مـ عدد الصفحات: ١٦

٢. الفقه الأكبر: (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس) المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان (تـ١٥٠هـ) الناشر: مكتبة الفرقان الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩مـ عدد الصفحات: ١٦٧

[1] (نقلته بتصرف من سير أعلام النبلاء) ٦/ ٣٩٠-٤٠٣)

٣. مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي المؤلف: أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (تـ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود الناشر: الآداب – مصر.

وفاته:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ – أَعْنِي سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ – وَعَنِ ابْنِ مَعِينَ: سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ. وَقَالَ غَيْرُهُ: سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، فَتَمَّ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ سَبْعُونَ سَنَة، وَصُلِيَ عَلَيْهِ بِبَغْدَادَ سِتَّ مَرَّاتٍ; لِكَثْرَةِ الزحَامِ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ.[1]

ترجمة مختصرة للإمام مالك رحمه الله تعالىٰ:

اسْمه وَنسبه:

هُوَ: مَالك بن أنس بن مَالك بن أبي عَامر بن عَمْرو بن غَيْمان بن خُثَيل بن عَمْرو بن الْحَارِث الأصبحي، وَيَنْتَهِي نسبه إِلَى يعرب بن قحطان.

---

[1] (البداية والنهاية ١٣/ ٤١٩-٤٢٠)

مولده ونشأته:

ولد سنة ثَلَاث وَتِسْعين من الْهِجْرَة على الْأَشْهر، وَقد طلب الْعلم فِي سّن مبكرة.

قَالَ الإِمَام مَالك: قلت لأمي: أذهب فأكتب الْعلم؟ فَقَالَت: تعال فالبس ثِيَاب الْعلم، فألبستني ثيابًا مشمرة، وَوضعت الطَّوِيلَة على رَأْسِي، وعممتني فَوْقهَا، ثمَّ قَالَت: اذهب فأكتب الْآن.

وَكَانَت تَقول: اذهب إِلَى ربيعَة فتعلم من أدبه قبل علمه.

وَلَقَد صَبر على طلب الْعلم ولاقى فِي سَبِيل ذَلِك الشدائد، حَتَّى أفْضى بِهِ إِلَى أَن نقض سقف بَيته فَبَاعَ خشبه كَمَا ذكره ابْن الْقَاسِم ثمَّ مَالَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بعد.

وَكَانَ يَقُول: كتبت بيَدي مائَة ألف حَدِيث.

ثنَاء الْعلمَاء عَلَيْهِ:

قد اعْترف لَهُ بِالْإِمَامَةِ الْأَئِمَّة الْأَعْلَام: فَقَالَ شَيْخه ابْن هُرْمُز: إِنَّه عَالم النَّاس.

وَقَالَ سُفْيَان بن عُيَيْنَة – لما بلغته وَفَاته –: مَا ترك على الأَرْض مثله.

وَقَالَ بَقِيَّة بن الْوَلِيد: مَا بَقِي على وَجه الأَرْض أعلم بسنة مَاضِيَة وَلَا بَاقِيَة من مَالك.

وَقَالَ الشَّافِعِي: مَالك أستاذي، وَعنهُ أخذت الْعلم، وَمَا أحد أَمَنَّ علي من مَالك، وَجعلت مَالِكا حجَّة بيني وَبَين الله؛ وَإِذا ذكر الْعلمَاء فمالك الناجم الثاقب، وَلم يبلغ أحد مبلغ مَالك فِي الْعلم؛ لحفظه وإتقانه وصيانته.

وَقَالَ أَحْمد: هُوَ إِمَام الحَدِيث وَالْفِقْه.

مؤلفاته:

قَالَ القَاضِي عِيَاض: اعلموا وفقكم الله تَعَالَى أن لمَالِك أوضاعا شريفة مروية عَنهُ، أَكْثَرهَا بأسانيد صَحِيحَة فِي غير فنّ من الْعلم، لكنه لم يشْتَهر عَنهُ مِنْهَا، وَلَا واظب على إسماعه وَرِوَايَته غير «الْمُوَطَّأ» مَعَ حذفه مِنْهُ وتلخيصه لَهُ شَيْئا بعد شَيْء، وَسَائِر تواليفه إِنَّمَا رَوَاهَا عَنهُ من كتب بهَا إِلَيْهِ، أَو سَأَلَهُ إياها أحد من أَصْحَابه، وَلم تَرْوهَا الكافة.

وَمن هَذِه المؤلفات الَّتِي لَهَا تعلق بأصول الْفِقْه:

رِسَالَة فِي الْفَتْوَى.

ورسالة إِلَى اللَّيْث بن سعد، تكلم فِيهَا عَن إِجْمَاع أهل الْمَدِينَة وعملهم.

قَالَ مُحَمَّد بن الْحسن الفاسي فِي كِتَابه «الْفِكر السَّامِي» "وَقَالَ السُّبْكِي فِي الطَّبَقَات: إِن أصُول مَذْهَب مَالك تزيد على الْخَمْسمِائَةِ.

وَلَعَلَّه يُشِير إِلَى الْقَوَاعِد الَّتِي استخرجت من فروعه المذهبية؛ فقد أنهاها الْقَرَافِي فِي فروقه إِلَى خَمْسمِائَة وَثَمَانِية وَأَرْبَعين، وَغَيره أنهاها إِلَى الْألف والمائتين كالمَقري وَغَيره، لَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَة تفرعت عَن هَذِه الْأُصُول. وَالْإِمَام لم ينص على كل قَاعِدَة، وَإِنَّمَا ذَلِك مَأْخُوذ من طَرِيقَته وَطَرِيقَة أَصْحَابه فِي الاستنباط. اهـ

وفاته:

توفيّ الإِمَام مَالك رحمه الله تعالى سنة ١٧٩ هـ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة، وَصلى عَلَيْهِ وَالِي الْمَدِينَة عبد الْعَزِيز بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَلي بن عبد الله بن عَبَّاس، وَمَشى فِي جنَازَته وحملَ نعشَه[1].

[1] (نقلت هذه الترجمة من مقدمة كتاب (معجم المؤلفات الأصولية المالكية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين) المؤلف: ترحيب بن ربيعان الدوسري الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ترجمة مختصرة للْإمام الشافعي:

اسْمه وَنسبه وولادته:

هُوَ الإِمَام أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن إِدْرِيس، بن الْعَبَّاس، بن شَافِع، بن السَّائِب، بن عبيد، بن عبد يزِيد، بن هَاشم، بن عبد الْمطلب، بن منَاف، بن قصي، الْقرشِي المطلبي الشَّافِعِي الْحِجَازِي الْمَكِّي، ابْن عَم رَسُول الله ﷺ يلتقي، مَعَه فِي عبد منَاف. ولد بغزة سنة ١٥٠ وَقيل بعسقلان، وهما من الأَرْض المقدسة، ثمَّ حمل إِلَى مَكَّة وَهُوَ ابْن سنتَيْن.

نشأته:

نَشأ- رضى الله عَنه - يَتِيما فِي حجر أمه فِي قلَّة عَيْش، وضيق حَال، وَكَانَ فِي صباه يُجَالس الْعلمَاء، وَيكْتب مَا يستفيده فِي الْعِظَام وَنَحْوهَا.

روى عَن مُصعب بن عبد الله الزبيرِي أَنه قَالَ: كَانَ الشَّافِعِي فِي ابْتِدَاء أمره يطْلب الشعْر وَأَيَّام الْعَرَب وَالْأَدب، ثمَّ أَخذ فِي الْفِقْه. قَالَ: وَكَانَ سَبَب أَخذه فِيهِ أَنه كَانَ يسير يَوْما على دَابَّة لَهُ، وَخَلفه كَاتب لأبى، فتمثل الشَّافِعِي بِبَيْت شعر فقرعه كَاتب أَبى بِسَوْطِهِ ثمَّ قَالَ لَه: مثلك يذهب بمروءته فِي مثل هَذَا أَيْن أَنْت من الْفِقْه؟ فهزه ذَلِك، فقصد مجالسة مُسلم بن خَالِد الزنْجِي مفتي مَكَّة، ثمَّ قدم علينا يعْنى «الْمَدِينَة المنورة» فَلَزِمَ مَالِكا.

قَالَ الشَّافِعِي: كنت أنظر في الشعْر فارتقيت عقبَة بمنى، فَإِذا صَوت من خلفي يَقُول: عَلَيْك بالفقه. وَعَن الْحميدِي قَالَ: قَالَ الشَّافِعِي: خرجت أطلب النَّحْو وَالْأَدب، فلقيني مُسلم بن خَالِد الزنْجِي فَقَالَ يَا فَتى: من أَيْن أَنْت؟ قلت: من أهل مَكَّة. قَالَ: أَيْن مَنْزِلك؟ قلت: بشعب الْخيف. قَالَ: من أَي قَبيلَة أَنْت؟ قلت: من عبد منَاف. فَقَالَ: بخ، بخ: لقد شرفك الله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. أَلا جعلت فهمك هَذَا فِي الْفِقْه فَكَانَ أحسن بك.

شيُوخه، ورحلته إِلَى الْعرَاق:

أَخذ الشَّافِعِي الْفِقْه عَن مُسلم بن خَالِد الزنْجِي، وَغَيره من أَئِمَّة مَكَّة، ثمَّ رَحل إِلَى الْمَدِينَة المنورة، فتلمذ على أَبى عبد الله مَالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأكْرمه مَالك، وعامله- لنسبه وَعلمه وفهمه، وعقله، وأدبه- بِمَا هُوَ اللَّائِق بهما. وَقَرَأَ الْمُوَطَّأ على مَالك حفظا، فَأعْجَبته قِرَاءَته، فَكَانَ مَالك يستزيده من الْقِرَاءَة لإعجابه بقرَاءَته، وَكَانَ سنّ الشَّافِعِي حِين اتَّصل بِمَالك ثَلَاث عشرَة سنة، ثمَّ ولى بِالْيمن، واشتهر بِحسن السيرَة، ثمَّ رَحل إِلَى الْعرَاق، وجد فِي الِاشْتِغَال بِالْعلمِ، وناظر مُحَمَّد بن الْحسن الشَّيْبَانِيّ صَاحب الإِمَام الْأَعْظَم أَبى حنيفَة النُّعْمَان وَغَيره، وَنشر علم الحَدِيث وَأقَام مَذْهَب أَهله، وَنصر السنة، وشاع ذكره وفضله، وتزايد تزايدا مَلأ الْبِقَاع فَطلب مِنْه عبد الرَّحْمَن ابْن مهدى إِمَام أهل الحَدِيث فِي عصره، أَن يصنف كتابا فِي أصُول الْفِقْه. وَكَانَ عبد الرَّحْمَن هَذَا

وَيحيى بن سعيد الْقطَّان يعجبان بِعِلْمِهِ، وَكَانَ الْقطَّان وَأحمد بن حَنْبَل يدعوان للشافعي رضى الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ في صلاتهما لما رَأيا من اهتمامه بِإِقَامَة الدَّين وَنصر السنة.

قدومه لمصر وتصنيفه للكتب:

قَالَ حَرْمَلَة بن يحيى: قدم الشَّافِعِي مصر سنة تسع وَتِسْعين وَمِائَة. وَقَالَ الربيع سنة مِائَتَيْنِ. فصنف كتبه الجديدة كلهَا بِمصْر، وَسَار ذكره في الْبلدَانِ، وقصده النَّاس من الشَّام، واليمن، وَالْعراق، وَسَائِر الأقطار للتفقه عَلَيْهِ وَالروَايَة عَنهُ، وَسَمَاع كتبه مِنْه وَأَخذهَا عَنه. قَالَ الإِمَام أَبُو الْحُسَيْن مُحَمَّد بن جَعْفَر الرَّازِيّ: سَمِعت أَبَا عمر، وَأحمد بن على بن الْحسن الْبَصْرِي، قَالَا: سمعنَا أَحْمد بن سُفْيَان الطرائفي الْبَغْدَادِي يَقُول: سَمِعت الربيع بن سُلَيْمَان يَوْمًا وَقد حط على بَاب دَاره تِسْعمائَة رَاحِلَة في سَماع كتب الشَّافِعِي.

مؤلفاته:

للشافعى مؤلفات كَثِيرَة مِنْهَا: «الْأُم طبع في سَبْعَة أَجزَاء كَبِيرَة»، و «جامعي الْمُزنِيّ»، الْكَبِير وَالصَّغِير.

و «مختصريه»، و «مُخْتَصر الربيع»، و «مُخْتَصر البويطي»، وَكتاب «حَرْمَلَة» وَكتاب «لْحجَّة» وَهُوَ الْقَدِيم.

و «الرسَالَة الجديدة والقديمة» و«الأمالي» و «الْإِمْلَاء» وَغير ذَلِك مِمَّا هُوَ مَعْرُوف. وَقد ذكرهَا الْبَيْهَقِي جَامع هَذَا الْكتاب فِي كِتَابه «مَنَاقِب الشَّافِعِي».

قَالَ القَاضِي الإِمَام أَبُو الْحسن بن مُحَمَّد الْمروزِي: قيل إِن الشَّافِعِي صنف مائَة وَثَلَاثَة عشر كتابا فِي التَّفْسِير وَالْفِقْه وَالْأَدب وَغير ذَلِك.

تواضعه وشفقته:

قَالَ السَّاجِي فِي أول كِتَابه فِي الِاخْتِلَاف: سَمِعت الربيع يَقُول: سَمِعت الشَّافِعِي يَقُول: وددت أَن الْخلق تعلمُوا هَذَا الْعلم على إِن لَا ينْسب إِلى مِنْه حرف. قَالَ النَّوَوِي: فَهَذَا إِسْنَاد لَا يمارى فِي صِحَّته.

وَقَالَ الشَّافِعِي وددت- إِذا ناظرت أحدا- أَن يظْهر الله الْحق على يَدَيْهِ.

ونظائر هَذَا كَثِيرَة مَشْهُورَة. وَمن ذَلِك مبالغته فِي الشَّفَقَة على المتعلمين ونصيحته لله وَكتابه وَرَسُوله ﷺ وَذَلِكَ هُوَ الدَّين كَمَا صَحَّ عَن سيد الْمُرْسلين ﷺ.

سخاء الشَّافِعِي:

قَالَ الْحميدِي: قدم الشَّافِعِي من صنعاء إِلَى مَكَّة بِعشْرَة آلَاف دِينَار فَضرب خباؤه خَارِجا من مَكَّة فَكَانَ النَّاس يأتونه فَمَا برح حَتَّى فرقها. وَقَالَ عَمْرو بن سَواد: كَانَ الشَّافِعِي أسخى النَّاس بالدينار، وَالدرْهَم، وَالطَّعَام.

وَقَالَ البويطي: قدم الشَّافِعِي مصر وَكَانَت زبيدة ترسل إِلَيْهِ برزم الثيَاب والوشي فَيقسمهَا بَين النَّاس. وَقَالَ الربيع: كَانَ الشَّافِعِي رَاكِبًا على حمَار فَمر على سوق الحدادين فَسقط سَوْطه من يَده فَوَثَبَ إِنْسَان فمسكه بكفه وناوله إِيَّاه فَقَالَ لغلامه: ادْفَعْ إِلَيْهِ الدَّنَانِير الَّتِي مَعَك فَمَا أدرى أَكَانَت سَبْعَة أَو تِسْعَة، قَالَ: وَكُنَّا يَوْما مَعَ الشَّافِعِي فَانْقَطع شسع نَعله، فأصلحه لَه رجل، فَقَالَ يَا ربيع: أمعنا من نفقتنا شيء؟ قلت: نعم. قَالَ: كم؟ قلت: سَبْعَة دَنَانِير. قَالَ: ادفعها إِلَيْهِ.

قَالَ أَبُو سعيد: كَانَ الشَّافِعِي من أَجود النَّاس وأسخاهم كفا، كَانَ يشتري الْجَارِيَة الصناع الَّتِي تطبخ وتعمل الْحَلْوَاء وَيَقُول لنا اشتهوا مَا احببتم فقد اشْتريت جَارِيَة تحسن أَن تعْمل مَا تُرِيدُونَ، فَيَقُول بعض أَصْحَابنَا: اعملي الْيَوْم كَذَا. وَكُنَّا نَحن نأمرها.

قَالَ الربيع: كَانَ الشَّافِعِي إِذا سَأَلَه إِنْسَان شَيْئا يحمار وَجهه حَيَاء من السَّائِل ويبادر بإعطائه.

شَهَادَة الْأَئِمَّة للشافعي:

قَالَ مَالك بن أنس- رضى الله عَنه - للشافعي: إِن الله قد ألْقى على قَلْبك نورا فَلَا تطفئه بالمعصية، وَقَالَ شَيْخه سُفْيَان بن عُيَيْنَة- وَقد قَرَ أَ عَلَيْهِ حَدِيث في الرَّقَائِق، فغشى على الشَّافِعِي فَقيل قد مَاتَ الشَّافِعِي، فَقَالَ سُفْيَان: إِن كَانَ قد مَاتَ فقد مَاتَ أفضل أهل زَمَانه.

وَقَالَ أَحْمد بن مُحَمَّد بن بنت الشَّافِعِي: سَمِعت أَبى وعمى يَقُولَانِ: كَانَ ابْن عُيَيْنَة إِذا سُئِلَ عَن شيء من التَّفْسِير والفتيا، الْتفت إِلَى الشَّافِعِي وَقَالَ: سلوا هَذَا. قَالَ الْحميدِي صَاحب سُفْيَان: كَانَ سُفْيَان بن عُيَيْنَة وَمُسلم بن خَالِد، وَسَعِيد بن سَالم، وَعبد الحميد بن عبد الْعَزِيز، وشيوخ مَكَّة يصفونَ الشَّافِعِي ويعرفونه من صغره مقدما عِنْدهم بالذكاء وَالْعقل والصيانة، وَيَقُولُونَ لم نَعْرِف لَه صبوة.

وَقَالَ يحيى بن سعيد الْقطَّان إِمَام الْمُحدثين في زَمَانه: أَنا أدعوا الله للشافعي في صلاتي من أَربع سِنِين. وَقَالَ الْقطَّان حِين عرض عَلَيْهِ كتاب الرسَالَة: مَا رَأَيْت أَعقل أَو أفقه مِنْه.

وَقَالَ أَبُو سعيد عبد الرَّحْمَن بن مهدى الْمُقدم في عصره في علمي الحَدِيث وَالْفِقْه حِين جَاءَتْه رِسَالَة الشَّافِعِي وَكَانَ طلب من الشَّافِعِي أَن يصنف كتاب

الرسَالَة فَأثْنى عَلَيْهِ ثنَاء جميلا وأعجب بالرسالة إعجابا كَبِيرا وَقَالَ: مَا أصلي صَلَاة إِلَّا أَدْعُو للشافعي.

وَبعث أَبُو يُوسُف القَاضِي إِلَى الشَّافِعِي حِين خرج من عِنْد هَارُون الرشيد يقرئه السَّلَام وَيَقُول: صنف الْكتب، فإنك أولى من يصنف فِي هَذَا الزَّمَان.

وَقَالَ أَبُو حسان: مَا رَأَيْت مُحَمَّد بن الْحسن الشَّيْبَانِي يعظم أحدا من أهل الْعلم تَعْظِيمه للشافعي، وَقَالَ أَيُّوب بن سُوَيْد وَهُوَ أحد شُيُوخ الشَّافِعِي وَمَات قبل الشَّافِعِي بِإِحْدَى عشرَة سنة: مَا ظَنَنْت انى أعيش حَتَّى أرى مثل الشَّافِعِي.

وَقَالَ أَحْمد بن حَنْبَل- وَقد سُئِلَ عَن الشَّافِعِي. لقد من الله بِهِ علينا، لقد كُنَّا تعلمنا كَلَام الْقَوْم، وكتبنا كتبهمْ، حَتَّى قدم علينا الشَّافِعِي فَلَمَّا سمعنَا كَلَامه علمنَا أَنه أعلم من غَيره، وَقد جالسناه الْأَيَّام والليالي فَمَا رَأينَا مِنْه إِلَّا كل خير.

وَقَالَ أَيْضا: مَا تكلم فِي الْعلم أقل خطأ وَلَا أَشد أخذا بِسنة النَّبِي ﷺ من الشَّافِعِي. وَقَالَ: إِذا جَاءَت الْمَسْأَلَة لَيْسَ فِيهَا أثر فافت بقول الشَّافِعِي. وَقَالَ: مَا من أحد مس بِيَدِهِ محبرة وقلما إلا وللشافعي فِي عُنُقه مِنْه.

وَقَالَ أَحْمد لإسحاق بن رَاهَوَيْه: تعال حَتَّى أريك رجلا لم تَرَ عَيْنَاك مثله. يعْني الشَّافِعِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَقَالَ أَحْمد: كَانَ الْفِقْه قفلا على أَهله حَتَّى فَتحه الله بالشافعي.

وَقَالَ دَاوُود بن على الظَّاهِرِي: كَانَ الشَّافِعِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سِرَاجًا لحملة الْآثَار ونقلة الْأَخْبَار وَمن تعلق بشيء من بَيَانه صَار محجاجا.

وَقَالَ الْحَافِظ: نظرت فِي كتب هَؤُلَاءِ الْمُتَابَعَة فَلم أرَ أحسن تأليفا من الشَّافِعِي.

سماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخضب لحيته بِالْحِنَّاءِ، وَتارَة بصفرة اتبَاعا للسنة، وَكَانَ طَوِيلا سَائل الْخَدين، قَلِيل لحم الْوَجْه، خَفِيف العارضين، طَوِيل الْعُنُق، طَوِيل الْقصب «أَي عظم الْعَضُد والفخذ والساق فَكل عظم مِنْهَا قَصَبَة» حسن الصَّوْت، حسن السمت، عَظِيم الْعقل، حسن الْوَجْه، حسن الْخلق، مهيبا، فصيحا، إِذا أخرج لِسَانه بلغ أَنفه وَكَانَ كثير الأسقام، وَقَالَ يُونُس بن عبد الْأَعْلَى: مَا رَأَيْت أحدا لقى من السقم مَا لقى الشَّافِعِي.

وَقَالَ الربيع: كَانَ الشَّافِعِي حسن الْوَجْه، حسن الْخلق، محببا الى كل من كَانَ بِمصْر فِي وقته من الْفُقَهَاء والنبلاء، والأمراء كلهم يجل الشَّافِعِي ويعظمه. وَكَانَ مقتصدا فِي لِبَاسه، ويتختم فِي يسَاره، نقش خَاتِمَة «كفى بِالله ثِقَة لمُحَمد بن إِدْرِيس»، وَكَانَ ذَا معرفَة تَامَّة بالطب، وَالرَّمْي، حَتَّى كَانَ يُصِيب عشرَة من عشرَة، وَكَانَ أَشْجَع النَّاس وأفرسهم يَأْخُذ بِإِذْنِهِ واذن الْفرس وَالْفرس يعدو،

وَكَانَ ذَا معرفَة بالفراسة وَكَانَ مَعَ حسن خلقه مهيبا حَتَّى قَالَ الربيع، وَهُوَ صَاحبه وخادمه: وَالله مَا اجترأت أَن أشْرب وَالشَّافِعِي ينظر اليّ هَيْبَة لَه.

وفاته:

قَالَ الربيع: توفى الشَّافِعِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَيْلَة الْجُمُعَة بعد الْمغرب، وَأَنا عِنْده وَدفن بعد الْعَصْر يَوْم الْجُمُعَة آخر يَوْم من رَجَب سنة أَربع وَمِائَتَيْنِ.

❊❊❊

ترجمة مختصرة للإمام احمد رحمه الله تعالىٰ:

قال الإمام محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ رحمه الله تعالى في كتابه سير أعلام النبلاء" هو الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وبعض النسابين يقدم ذهل بن شيبان، وساق النسب إلى بكر بن وائل، ثمَّ قال الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في تأريخه وغيره، ويلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان."

مولده:

قال الإمام الذهبي: "وكان محمد والد أبي عبد الله من أجناد مرو مات شابًّا؛ له نحو ثلاثين سنة وربيّ أحمد يتيما، وقيل أنَّ أمَّه تحوَّلت من مرو؛ وهي حامل به رحمها الله، ونقل أبو داود سمعت يعقوب الدورقي سمعت أحمد يقول: ولدت في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

نشأته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نشأ يتيما في حجر أمه، ونقل صالح عن أبيه أنَّه قال: ثقبت أمي أذني، فكانت تصير فيهما الؤلؤتين، فلمَّا ترعرعت نزعتهما، فكانت عندها، ثمَّ دفعتها إليَّ، فبعتهما بنحو ثلاثين درهما.

بداية طلبه للعلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام الذهبي: "كان وهو ابن خمس عشرة سنة في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد.

رحلته في طلب العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال المروذي: سمعت أبا عبد الله يقول: مات هشيم ولي عشرون سنة، فخرجت أنا والأعرابي كان لأبي عبد الله؛ قال فخرجنا مشاة، فوصلنا الكوفة يعني في سنة ثلاثٍ وثمانين، فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق، فأعطى الأعرابي حَجة بستين درهما، فخرج، وتركني في بيتٍ وحدي فاستوحشت، وليس معي إلاَّ جرا ب فيه كتبي كنت أضعه فوق لبنة، وأضع رأسي عليه، وكنت أذاكر وكيعا بحديثٍ الثوري.

حفظه للعلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال المروذي: "وذكر مرة شيئا، وقال: هذا عند هشيم، فقلت: لا. وكان ربما ذكر العشرة أحاديث فأحفظها، فإذا قام قالوا لي، فأمليها عليهم، وحدثنا عبد الله بن أحمد قال لي أبي خذ أي كتابٍ شئت من كتب وكيع من المصنف إن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت الإسناد حتى أخبرك بالكلام" قلت: يريد بالكلام المتن أي الحديث الذي يتوصل إليه بالإسناد قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل: وما يدريك؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب.

قال الإمام الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر والأثر، وفتوى التابعين، وما فسر، ونحو ذلك، وإلاَّ فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

قال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله كأنَّ الله جمع له علم الأولين والآخرين.

ورعه، وثناء العلماء عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام الذهبي في السير ج١١/ ١٩٢: "قال الخلال: حدثنا الرمادي: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعت عيناه فقال: بلغني أن نفقته

نفذت فأخذت بيده فأقمته خلف الباب، وما معنا أح د وقلت له: لا تجتمع عندنا الدنانير إذا بعنا الغلة أشغلناها في شيءٍ، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، وأرجو ألاَّ تنفقها حتى يتهيأ شي ء فقال: يا أبا بكر لو قبلت من أحدٍ قبلت منك.

وقال عبد الله: قلت لأبي بلغني أنَّ عبد الرزاق عرض عليك دنانير؟ قال: نعم، وأعطاني يزيد ابن هارون خمس مائة درهم أظنُّ، فلم أقبل، وأعطى يحيى بن معين، وأبا مسلم، فأخذا منه.

وقال حرملة سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد، فما خلَّفت بها رجلا أفضل ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل. وقال نصر بن علي الجهضمي: أحمد أفضل أهل زمانه. وقال: إمام الأئمة ابن خزيمة: سمعت محمد بن سحنون؛ سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي وذكر أحمد بن حنبل، فقال رحمه الله تعالى عن الدنيا: ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

وقال قتيبة: لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين؛ أحمد إمام الدنيا.

وروي عن إسحاق بن راهويه: أحمد حجة بين الله وبين خلقه.

وعن ابن المديني قال: أعزَّ الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة.

جهاده لأهل البدع:

قال الذهبي في السير في ج١١/ ٢٩٩: قال: محمد بن إسماعيل الترمذي: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل، فقال له أحمد: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله ينفض ثوبه، ويقول: زنديق؛ زنديق؛ ودخل البيت.

وفي صـ٢٩٧: قال: أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي أخبرنا الفضل بن زياد سمعت أحمد بن حنبل يقول: من ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.

قال الذهبي رحمه الله تعالى: وللإمام أحمد كلام كثير في التحذير من البدع وأهلها، وأقوال في السنة، ومن نظر في كتاب السنة لأبي بكر الخلال رأى فيه علما غزيرا، ونقلا كثيرا، وقد أوردت (يعني الذهبي) من ذلك جملة في ترجمة أبي عبد الله في تأريخ الإسلام، وفي كتاب العزة للعلي العظيم، فتَرَني عن إعادته هنا عدم النية، فنسأل الله الهدى وحسن القصد، وإلى الإمام أحمد المنتهى في

معرفة السنة علما وعملاً وفي معرفة الحديث وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان رأسا في الزهد والورع، والعبادة، والصدق.[1]

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الذهبي رحمه الله تعالى في ج١١/ ٣٣٤ من السير:" مرضه: قال سمعت أبي يقول: استكملت" سبعا وسبعين سنة، ودخلت في ثمان فحُمَّ من ليلته، ومات اليوم العاشر. وقال صالح: لمَّا كان أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين حمَّ أبي ليلة الأربعاء وبات، وهو محموم يتنفس تنفسا شديدا، وكنت قد عرفت علته، وكنت أمرّضه إذا اعتل فقلت له: يا أبت على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلاء.

قال: صالح واجتمعت عليه أوجاع الحصر، وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتا، فلمَّا كان يوم الجمعة لاثني عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي رحمه الله تعالى، وكانت جنازته حافلة لم يُر مثلها قيل حُزِرَ الذين صلُّوا عليه من الرجال بثمانمائة ألف، ومن النساء بستين ألف امرأة.

---

[1] (سير أعلام النبلاء" للذهبي ج١١/ ٢٩١-٢٩٢)

وقال الذهبي أيضا: وقال جعفر بن محمد بن حسين النيسابوري حدثني الفتح بن الحجاج سمعت في دار ابن طاهر الأمير أنَّ الأمير بعث عشرين رجلا، فحزروا كم صلَّى على أحمد بن حنبل، فحزروا فبلغ ألف ألف وثمانين ألفا سوى من كان في السفن، فقال : بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف.

***

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فـــإنِ اتَّبَعْـــتَ سَبيلَهـــم فَمُوفَّـــقٌ وإنِ ابْتَـــدَعْتَ فمَـــا عَليكَ مُعَوَّلُ

الشَّرْحُ:

في هذا البيت وهو الأخير بيان أهمية اتباع السلف والسير على طريقتهم في العقائد والعبادات والمعاملات ومن هؤلاء السلف الأخيار الائمة الأربعة الذين اتفق أهل السنة على جلالتهم وإمامتهم وبيان خطورة البدع والمحدثات والحذر منها ومن اهلها وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك واستفاضت آثار السلف في ذلك.

وجوب الإتباع والحذر من الابتداع:

تعريف البدعة لغة:

قال ابن منظور: بدع الشيء يبدعه بدعًا وابتدعه أنشأه وبدأه. البديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولًا، وفي التنزيل: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) أي ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير.

والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة قال الله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا) وبدَّعه نسبه إلى البدعة.

واستبدعه: عده بديعًا. والبديع المحدث العجيب. والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال. والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها.

قال الله تعالى: (وأن هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

قال القرطبي في تفسيره: هذه آية عظيمة فإنه لما نهى وأمر وحذر هنا عن اتباع غير سبيله فأمر فيها باتباع طريقه.

وقال العلامة السعدي في "تفسيره"عند الآية: قوله ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: تضلكم عنه وتفرقكم يمينًا وشمالًا، فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النُّور: ٦٣]

قال الراغب الأصفهاني: والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الْخر في حاله أو قوله.[1]

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: وما أحسن ما ذكر الشاطبي رحمه الله في «الاعتصام» (١/ ١٦٧) ومن قبله الهروي في «ذم الكلام» (٣/ ٥٤/ ١) عن الزبير بن بكار قال: (حدثني سفيان بن عيينة قال) سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد. فقال: لا تفعل. قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول:(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَا ب أَلِيم)[2]

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوما خطًا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خطَّ خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على

---

[1] (المفردات في غريب القرآن صـ١٥٦)

[2] (السلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٣٧٧).

كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الآية.[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : مَن أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رد.[2]

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث «الأعمال بالنيات» ميزان لِلعمال في باطنها وهو ميزان لِلعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء.[3]

---

[1] أخرجه أحمد (٤١٢٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٧٤)، والدارمي (٢٠٢)، رواه الدارمي وأحمدو النسائي قال العلامة الألباني: في "التعليقات الحسان" برقم (٧) حسن صحيح؛ وهو في "الصحيح المسند للوادعي: برقم (٨٣٣)

[2] رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

[3] (جامع العلوم والحكم ضـ٨١)

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ إنَّ الله حجَز – أو قالَ حجبَ – التَّوبةَ عن كل صاحبِ بدعةٍ.[1]

الآثار الواردة عن السلف في لزوم السنة وذم البدعة:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناسُ حسنَةً".[2]

وعن عمر بن عبد العزيز –رحمه الله تعالى–، أنه حقب إلى الناس: "إنه لا رَأيَ لأحد مع سُنَّةٍ سَنَّها رسول الله – ﷺ –".[3]

عن أبي إدريس الخولاني –رحمه الله تعالى–، قال: "لأن أرى في المسجد نارا لا أستطيعُ إطفاءها أحب إليَّ من أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها".[1]

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٢٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٣٨) وصححه الألباني في تخريج كتاب السنة برقم (٣٧)

[2] أخرجه ابن نصر المروزي (٨٣)، واللالكائي في "شرح أصول الإعتقاد" (١/ ١٢٦)، وابن بطة في"الإبانة" (٢٠٥)، والبيهقي في المدخل (١٩١).

[3] (اخرجه الآجري في "الشريعة" ١/ ١٨٢رقم :١١٣ ط الوليد سيف النصر)، وابن بطة في "الإبانة (١٠٠)، والهروي في "ذم الكلام" (٢/ ٢٩٩/ ٣٩١و ٤/ ٨٢/ ٨٢١).

عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-، قال: "سَنَّ رسولُ الله ﷺ وولاةُ الأمرِ بعدَهُ سُنَنًا؛ الأَخْذُ بها تصديق لكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ -، واستكمال لطاعة الله، وقوَّة على دين الله، من عَمِلَ بها مُهْتَدٍ، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتَّبَعَ غير سبيل المؤمنين، وولَّاه اللُه ما تولَّى.[٢]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة.[٣]

وعنه أيضا قال: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.[٤]

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين. ذكره الشاطبي وعن

---

[١] أخرجه ابن نصر المروزي في "السنة"(١٠١) والهروي في "ذم الكلام" (٤/ ٧٣-٧٤/ ٨١٣)، وابن وضاح في "البدع والنهي عنها"(٨٧،٨٨) وأبو نعيم في "الحلية" (٥/ ١٢٤)، وابن بطة في "الإبانة" (٥٩٩).

[٢] أخرجه الخلاّل في "السنة" (٤/ ١٢٤/ ١٣٢٩)، وعبد الل بن أحمد ف ي "السنة"(١/ ٣٥٧/ ٧٦٦)، وابن بطة في "الإبانة"(٢٣٥)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم"(٢/ ١١٧٦/ ٢٣٢٦٢).

[٣] أخرجه الدارمي (٢٢٣)، واللالكائي (١/ ٥٥/ ٨٨) وغيرهما.

[٤] قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٨١) وصححه الألباني (٥٤) العلم لزهير بن حرب (١٦)

الفضيل بن عياض رحمه الله قال: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.[1]

وعن عثمان الأزدي قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له أوصني. فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع.[2]

مسالة: هل يجوز أخذ العلم والدين عن أهل البدع؟

الجواب: لا يجوز وقد اشتد نكير السلف في هذا الباب قال الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه (١/ ١٤) بَاب بَيَانِ أَنَّ الإِسْنَادَ مِنَ الدينِ. وَأَنَّ الروَايَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنِ الثقَاتِ. وَأَنَّ جَرْحَ الرُّوَاةِ بِمَا هُوَ فِيهِمْ جَائِز، بَلْ وَاجِب. وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْغِيبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، بَلْ مِنَ الذَّبِ عَنِ الشَّرِيعَةِ الْمُكَرَّمَةِ.

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ. وَحَدَّثَنَا فُضَيْل عَنْ هِشَامٍ. قَال وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ؛ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلمَ دِين. فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ.

---

[1] ذكره الشاطبي في الاعتصام (١/ ٨٣)

[2] (الفقيه والمتفقه ١/ ١٧٩/ شرح السنة ١/ ١١٤)

قَالَ مُطَرفُ بْنُ عبد الله قَالَ سَمِعْتُ مَالِكا يَقُولُ أَدْرَكْتُ جَمَاعَة مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا أَخَذْتُ عَنهُمْ شَيْئا مِنَ الْعِلْمِ وَإِنَّهُمْ لَمِمَّنْ يُؤْخَذُ عِنْهُمُ الْعِلْمُ وَكَانُوا أَصْنَافا فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ كَذَّابا فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَلا يَكْذِبُ فِي عِلْمِهِ فَتَرَكْتُهُ لِكَذِبِهِ فِي غَيْرِ عِلْمِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ جَاهِلا بِمَا عِنْدَهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَهْلا لِلأَخْذِ عَنهُ وَمِنْهُم من كَانَ يرْمى برأى سوء. اهـ

قال ابن أَبِي أُوَيْسٍ: سَمِعْتُ خَالِي مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ لَقَدْ أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ مِمَّنْ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ هَذِهِ الأَسَاطِينِ وَأَشَارَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُو لِ الله ﷺ فَمَا أَخَذْتُ عَنْهُمْ شَيْئًا وأن أحدهم لو اؤتمن على بَيت مَال لَكَانَ أَمِينًا إِلا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ وَقَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ شِهَابٍ فَكُنَّا نَزْدَحِمُ على بَابه. اهـ

وكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ لا يؤخذ الْعِلْمُ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَيُؤْخَذُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ لَا يُؤْخَذُ مِنْ سَفِيهٍ وَلا يُؤْخَذُ مِنْ صَاحِبِ هَوًى يَدْعُو إِلَى بِدْعَتِهِ وَلا مِنْ كَذَّابٍ يَكْذِبُ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يُتَّهَمُ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ الله ﷺ وَلا مِنْ شَيْخٍ لَهُ فَضْلٌ وَصَلاحٌ وَعِبَادَةٌ إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُ مَا يَحْمِلُ وَمَا يُحَدِّ ثُ بِهِ. اهـ[1]

[1] (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة صـ١٥-١٦) لابن عبد البر رحمه الله تعالى

وقال ابن قدامة رحمه الله في لمعة الاعتقاد: ومن السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة. اهـ[1]

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن مشروعية الهجر في ذَاتِ الله تعالى:

وَاهْجُرْ وَلَوْ كُلَّ الـوَرَى فِي ذَاتِـهِ لاَ فِي هَواكَ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

وَاصْبِرْ بِغَيْرِ تَسَخُّـطٍ وَشِكَـايَةٍ وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابِ مَنْ هُوَ جَانِي

وَاهْجُرْهُمُ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ بِلاَ أَذَى إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْهُجْرَانِ[2]

واختم هذه الرسالة بفصل جميل للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله تعالى انقله هنا برمته من كتابه النفيس حلية طالب العلم:

قال رحمه الله تعالى: التلقي عن المبتدع: (احذر أبا الجهل) المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يحكم الهوى ويسميه العقل، ويعدل

---

[1] (لمعة الإعتقاد صـ٤١-٤١)

[2] (الكافية الشافية)

عن النص، وهل العقل إلا في النص ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضًا: (أهل الشبهات) و(أهل الأهواء) ولذا كان ابن المبارك رحمه الله تعالى يسمى المبتدعة الأصاغر.

وقال الذهبي رحمه الله تعالى: إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات العقل فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، إن جبنت منه فاهرب، وإلا، فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واخنقه. اهـ

وقال أيضا رحمه الله تعالى: وقرأت بخط الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه – أي ابن أبى عصرون – مع أخي أبى عمر وانقطعنا، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد، فقال: لم انقطعتم عنى؟ قلت: إن أناسًا يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري. هذا معنى الحكاية. اهـ

وعن مالك رحمه الله تعالى قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

فيا أيها الطالب إذا كنت في السعة والاختيار؛ فلا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجئ، أو قدري، أو قبوري وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال - صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر - إلا بهجر المبتدعة وبدعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص وواقعيات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها:

فقد كان السلف رحمهم الله تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلى على جنازة مبتدع، فينصرف وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم سنة ١٣٨٩هـ رحمه الله تعالى، انصرافه عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم، لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة.. للمبتدع عند الاضطرار، لأنه باغ، لقول الله تعالى (فمن اضطر غير باغ) الآية فهو باغ ببدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: أظنك صاحب بدعة وأمر به، فأخرج.

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، حذرًا من شرهم، وتحجيما لانتشار بدعهم وكسرا لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع، ولأن في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي – والعامي: مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالبًا.

ونرى في كتب المصطلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل: الأخبار في هذا فيا أيها الطالب كن سلفيا على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلا، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول – وهو العسل، مقلوب – وهطول الدمعة، وحسن البزة، والإغراء الخيالات، والإدهاش بالكرامات، ولحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف وما وراء ذلك إلا وحم البدعة، ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في شراكه، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة، فالعق العسل ولا تسل.

وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافيًا، وإلا، فليبك على الدين من كان باكيًا.

وما ذكرته لك هو في حالة السعة والاختيار، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك، فاحذر منه، مع الاستعاذة من شره، باليقظة من دسائسه على حد قولهم: اجن الثمار وألق الخشبة في النار. ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره وتتقى شره وتكشف ستره.

ومن النتف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ، فقيل له: لم تحدث عن مرجئ فقال: أبيعكم اللحم بالعظام.

فالمقرئ رحمه الله تعالى حدث بلا غرر ولا جهالة إذ بين فقال: وكان مرجئًا.

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في (العقيدة السلفية) لشيخ الإسلام أبى عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني م سنة٤٤٩هـ قال: رحمه الله تعالى ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا

يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عز وجل قوله: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) اهـ[1]

❊❊❊

تم بحمد الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[1] (حلية طالب العلم صـ١٦٥-١٦٨)

فهرس الموضوعات

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدث ٣

يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى ٣

مقدمة ٥

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام بن تيمية ٦

نسبة اللامية لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٢

(القَصِيدَة اللامِية) ١٥

مسألة : من هو الصحابي؟ ٢٧

الصحابة ثلاثة أصناف: ٢٧

مسألة **: كم عدد الصحابة ؟** ٣١

فضيلة أبي بكر في القرآن: ٥٨

ومعنىٰ قول السلف: إليه يعود: ٦٧

كلام العلماء في أن القرآن كلام الله غير مخلوق. ٦٨

قوله: (والمُصطَفَىٰ): ٧٧

مذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالىٰ إجمالاً: ٨٣

إمرار الصفات: ٩٢

قوله: (وأصُونُهَا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ). ٩٣

قوله: (وأقر). ١١٢

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و الحوضِ الذِي أَرْجُوا بأنِي مِنْهُ رِيًا أَنْهَلُ) ١١٩

مسألة: ما الفرق بين الكوثر والحوض؟ ١٢٧

مسألة: هل هناك من ينكر الصراط؟ ١٣٢

مسألة: هل النار موجودة الآن؟ ١٤٣

مسألة: هل هناك من قال بفناء الجنة والنار؟ ١٤٧

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَصْلاَها الشقيُّ بحكمةٍ) ١٥٣

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذا التقيُّ إلىٰ الجِنان سَيَدْخُلُ) ١٥٤

مسألة: هل هناك فرق بين عذاب القبر وفتنة القبر؟ ١٧١

مسألة: حكم من أنكر عذاب القبر؟ ١٧٢

ترجمة مختصرة لأبي حنيفية رحمه الله تعالىٰ: ١٧٦

ترجمة مختصرة للإمام مالك رحمه الله تعالىٰ: ١٨٣

ترجمة مختصرة للإمام الشافعي: ١٨٧

ترجمة مختصرة للإمام احمد رحمه الله تعالىٰ: ١٩٦

مسالة: هل يجوز أخذ العلم والدين عن أهل البدع؟ ٢٠٩